جهود الباحثين المُحْدَثين في دراسة الحديث النبوي الشريف
الدراسات ذوات المنحى السردي أنموذجاً .

إعداد :

أ.م.د : رميض مطر حمد الدليمي — **كلية الآداب – جامعة الأنبار**

م.م : عبد الكريم محمد خلف الجنابي — **المكتبة المركزية – جامعة الأنبار**

ملخص البحث :

تناول الباحثون المحدثون الحديث النبوي الشريف بالدراسة من أكثر من جانب ، ومن ذلك الدراسات التي قامت للوقوف عند القصة النبوية مستلهمة أبعادها التربوية ، أو متوقفة عندها من حيث دلالاتها الفنية وتقنياتها السردية ، فالقصة النبوية مع كونها نصاً تشريعياً مقدساً يحمل في طياته الأمر والنهي تلميحاً لا تصريحاً إلا إنها جاءت بهذا القالب القصصي لغاية معينة تتمثل بالتأثير في المتلقي في كل زمان ومكان ، وهذا القالب القصصي حمل في طياته ميزات فنية كانت من الروعة بمكان ، ومن أبرز ما فيه واقعيته ، فمصدر هذه القصص الوحي الإلهي ، وبذلك اختلف عن القصص البشرية الأخرى ، وبذلك نصل إلى نتيجة ملخصها : أن الفن في خدمة الدين ، وهذا ما سنسلط الضوء عليه من خلال دراسات الباحثين المحدثين التي تناولت القصة النبوية .

Abstract

The late researchers tackled the prophetic Hadith from various sides, examples of these are the studies that deal with the prophetic narration , focusing on their moral lessons , showing their semantic techniques. Though the prophetic story is a sacred narration, still these stories have special styles to affect the listeners in various times and sites. This narrative style implies technical characteristics. One of these is its reality. The course of these narration is Divine revelation. Here I concluded that art serves the sacred religion.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فإن السرد النبوي يعني : الأخذ بمجامع القلب والحواس بوصفه بنية سردية تؤدي إلى تصورات ذهنية عند المتلقي بمجرد تلقي نص القصة النبوية ، فالتّنوع السردي في الحديث النبوي الشريف يظلّ متميزاً بالإطار الفني الذي ترسّخ فيه .

ومن هذا ننطلق متتبعين لجهود الباحثين المُحْدَثين في تأمل أبعاد هذا السرد النبوي بكل تقنياته السردية ، فقد اعتنى علماء المسلمين منذ القدم بالسيرة النبوية العطرة أيما اعتناء ، فوثقوا أحداثها واستخلصوا العبر منها ، ولكن عنايتهم بالقصة النبوية لم تكن بارزة ، إذ ساقوها مساق الأحاديث النبوية الشريفة الأخرى ، ولم يُفردوها ويستخلصوا ما فيها من أبعاد فنية ، أما الباحثون المحدثون فقد كان الأمر مختلفاً معهم ، وهو ما سنعرضه هنا من خلال المباحث الآتية :

المبحث الأول : وصف السرد النبوي ، وميزاته ، ووظائفه .

السرد لا يقتصر على القص والحكي ، وإنّما تتوسع وظيفته لتؤدي دوراً مهماً يقود إلى التأثير في المتلقي ، فتجعله يتأثر بمضامين السرد بنقله لصورة الوقائع والأحداث بكل أبعادها إليه كأنها ماثلة أمامه بوصفها حقيقة واقعة حدثت في زمن ما

وقد توقف بعض الباحثين المُحْدَثين عند الوصف العام للقصة النبوية وبيان وظيفتها بوصفها بنية سردية ، والوصف كما هو معلوم : ((إنشاء يُراد به إعطاء صورة ذهنية عن مشهد ، أو شخص ، أو إحساس ، أو زمان للقارئ ، أو المستمع))(١) ، ومن هنا فقد أبانوا في وصفهم العام هذا أن القصة النبوية لم تأتِ إلا لغاية تشريعية تربوية ، ومجيئها بصيغة قصة ليتنوع الخطاب للمتلقي ، فيحصل التأثير فيه دون أي ملل منه ، فتقف الباحثة فوزية عبد الله عند الوصف العام للقصة النبوية ، مبينة وظيفتها ومكانتها من رسالة الإسلام ، فتذكر أنها ((دوحة عميقة الأصل باسقة الفرع دانية الجنى ، لا ينتهي ظلها ، ولا يذهب رونقها ، تفيض بألوان المعارف وأسمى الحقائق والغايات التربوية التي تقصر عنها القصة الأدبية الفنية ، إنها قوة في الحق وإبداع في البيان ووضوح في المعالجة ووسيلة من وسائل البيان وسبيل من سبل الدعوة ، ضمّنها المصطفى ﷺ الكثير من القضايا والحقائق))٢ ، وتنطوي القصة النبوية – كما تشير الباحثة – على مجموعة قضايا رام الرسول ﷺ إيصالها إلى المتلقي ، منها : تحقيق التوحيد ومعرفة الله تعالى ، ورسوخ العقيدة في القلوب والتضحية في سبيلها ، وإثبات الوحي والرسالة وبراهين الإيمان بالغيب ، والبعث بعد الموت ، ومظاهر القدرة الإلهية ، وفيها الإنذار والبشارة ، والترغيب والترهيب ، وعقبى المتقين ، ومصارع الظالمين ، وآثار الصبر وعقبى الجزع ، وفيها تصحيح الفكر على وفق منهج الحق والعقيدة ، وفيها يتجسد الصراع الدائم بين الحق والباطل والكفر والإيمان كما يتجلى فيها التمسك بالإيمان في كل حال ،

والتعلق بالصبر في كل شدة ، ذلك أن الفرج يصاحب الشدة ، واليسر يرافق العسر٣ ، فتركز الباحثة في وصفها للقصة النبوية على أنها من وسائل الدعوة البارزة بما تحمله في طياتها من صور الماضي لأشخاص كُثر متنوعة أفعالهم لاقوا مصايرهم على وفق أفعالهم ، فتحصل بذلك العبرة إن فقه المتلقي مغزى ذلك العرض القصصي ، ولأنها من وسائل الدعوة فقد حملت في طياتها التعريف بالله تعالى وبسننه السائرة الماضية الثابتة في هذا الكون الكبير ، فهي لا تتبدل ، فنواميس الله ﷻ في كونه ثابتة لها الديمومة بدوام السماوات والأرض .

ويرى الباحث عبد الفتاح أبو غدة أن النبي ﷺ كان ((يعلم أصحابه بطريق القصص والوقائع التي يُحدثهم بها عن الأقوام الماضين ، فيكون لها في نفوس سامعيها أطيب الأثر وأفضل التوجيه ، وتحظى منهم بأوفى النشاط والانتباه ، وتقع على القلب والسمع أطيب ما تكون إذ لا يواجه فيها المخاطب بأمر أو نهي ، وإنما هو الحديث عن غيره فتكون له منه العبرة والموعظة والقدوة ، وقد سنَّ الله تعالى هذا الأسلوب في تعليمه لنبيه ﷺ)) ٤ ، فقال سبحانه : ﴿وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك﴾٥ ، فيشير الباحث إلى الجانب التلميحي للقصة النبوية ، فالمخاطب تُوجه إليه الأوامر والنواهي من خلال الحديث عن شخوص عاشت في الزمن الماضي .

ويرى د. محمد رجب البيومي أن القصة النبوية كانت ((إحدى وسائل النبي ﷺ في الإقناع والتأثير ، وقد تتضائل الأقصوصة حتى تصير خبراً قصصياً محدوداً كما في قصة ساقي الكلب٦ ، ومع الإيجاز المفرط لهذه القصة إلا أنها تضمنت لباب ما تتضمنه الأقصوصة المتسعة ، ففيها التشويق والإثارة والتصوير النفسي للعواطف والعظة الهادفة من الرحمة الواجبة للحيوان))٧ .

وقصة ساقي الكلب نظر إليها د. غازي طليمات وعرفان الأشقر من وجهة مقارنة من حيث سلوك بطل القصة وما يدعيه الغرب اليوم ، فقالا : ((إذا كانت الحضارة الغربية تعد الرفق بالحيوان مأثرة من مآثرها فإن هذه المأثرة قد تنقلب إلى وحشية وتخلف حينما يقرن العطف على الحيوان بالحيف على الإنسان ، فإذا الحيوان الغربي أحب إلى هذه الحضارة من ألوف السمر والصفر من أهل الشرق ، أما القصة النبوية فإنها رأفت بكل حيوان أياً كان جنسه ؛ لأنه يحمل سراً من أسرار الخلق وهو الروح ... والقسم الأعظم من القصص النبوي يجري مجرى هذه الأقصوصة في قصر الحوادث وقلة الشخوص وجمال السرد والاتكاء على الحوار والكشف عن الهدف والحرص على تضمين القصة موقفاً إنسانياً أو توجيهاً تربوياً وتقديم المضمون على الشكل والفكر على الفن))٨ .

ويشير د. محمد لطفي الصباغ إلى أن هناك قسماً من القصص النبوي يقتصر على موقف واحد٩ ، كقوله ﷺ : ((بَيْنَمَا رَجُلٌ يَجُرُّ إِزَارَهُ مِنَ الخُيَلاَءِ ، خُسِفَ بِهِ ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي

الأَرْضِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ))١٠ . فالعبرة لا تتوقف على طول القصة وقصرها ، وإنما بما تحتويه من عناصر فنية تؤدي بدورها إلى التأثير في المتلقي ، وهذا التأثير يمثل الهدف العام الرئيس من سرد هذه القصص طويلها وقصيرها .

وعمد بعض الباحثين إلى استخلاص ميزات القصص النبوي من خلال استقرائهم للجانب الفني فيها ، فذكر د . نور الدين عتر أن القصة الحديثية انمازت بالإيجاز والحركة والخوارق وسائر أنواع التشويق١١ .

والخوارق هي التي تجري بتدبير الخالق العظيم ، فلا يد للبشر فيها ، وهذا الجانب أبرز ما يميز القصص النبوي ، فوصول المبلغ كما في قصة الرجل من بني إسرائيل الذي اقترض ألف دينار لا يمكن أن يكون بتدبير عادي ، وإنما هي يد القدرة الإلهية التي أضفت على القصة هذه الجمالية الفنية والإيمانية في آن واحد والتي فاض تأثيرها في المتلقي الذي سيشعر – لا محالة – عند تأمل أحداث هذه القصة بالاطمئنان إلى رعاية الله تعالى وقدرته على كل شيء ونُصرته لمن يتوكل عليه ويثق به .

أما د. أحمد ياسوف فقد رأى أن من أبرز ميزات القصص الحديثية : سيادة عنصر الفكرة ، وهو أمر يؤدي إلى تواري الشخصيات خلف الفكرة ، فضلاً عن ضمور الفكرة ؛ لأن القصدية هي الأمر المطلوب إيصاله إلى المتلقي ، إذ يتمثل في القصص الحديثية عن طريق شخوص واقعية ، وهذا ما لا نجده في القصص الأخرى ، إذ يستعين الكاتب بنماذج خيالية لها قـــــــرائن ومشــــــابه فـــــــي الواقع١٢ .

لذلك وجد د. أحمد ياسوف في القصص الحديثية التحام ((الصدق الأدبي بالصدق العلمي ؛ لأن الأحداث والشخصيات من التأريخ كما يجيء الوحي إلى النبي ﷺ ، إذ تسير القصة الحديثية وفق منهج القصة القرآنية في عدم البعد عن الواقع وعدم الاستسلام للخيالات الكاذبة والتقول على التأريخ وإن كانت الغاية دينية خيِّرة ... والمضمون الفكري في القصص الحديثي إطلاق القواعد الدينية إلى شكلها المثالي حيث نُصرة الدين وإقامة العبادات واتباع الفضائل على أكمل وجه ، والبعد عن الرذائل أشد الابتعاد ، فالأخيار هنا على أعلى مرتبة من التمسك بالدين ، والأشرار في أدنى انحطاط بشري وهم وسيلة للشر يمكن أن تعد نماذج عامة لكل عصر))١٣ .

والفكرة هنا تحمل بُعداً اجتماعياً يحمل في طياته رسم ملامح الشخصية الإيجابية الفاعلة في بيئتها ، التي يطمح البيان النبوي إلى أن يقتدي بها متلقي القصص النبوي في كل زمان ومكان .

ويرى أيضاً أن القصة النبوية ((وسيلة تصويرية يغلب أن تكون محافظة على التسلسل الزماني والمكاني كما يكون في فن الخيالة (السينما) فنجد الافتتاحية والعقدة والحل ، ويتخلل هذه النقاط مشاهد توازي فن الرسم وتتجاوز الوصف إلى رصد الحركة المكانية والزمانية وتجعل الشخصيات تقوم بذاتها بإبراز الأفكار ، وهي لوحة ؛ لأنها أقوى ما تكون من التماسك فلا يستغنى عن عنصر فيها ، بل الانتباه مستفز مثار من أولها إلى آخرها شأن التصوير والفن النبوي كله ، فالتفاعل فيما بين العناصر ضروري حتى تتم اللذة ويتوج بها النص في الخاتمة))١٤.

وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على تمكن السرد النبوي في قصصه من نقل ذهن القارئ للعيش معه بكل أبعاده ، فكأنه ينظر إلى شاشة فنية ماثلة أمامه تعرض مشاهد متحركة لشخوص هذه القصة الرائعة وأحداثها .

وتذكر الباحثة هناء عبد الرحمن محمد ميزات القصص النبوي المتمثل بكونه : ((رباني المصدر ، فالرسول ﷺ ما ينطق عن الهوى ، وما يأتينا به وحي يوحى ، ويختلف بذلك عن القصص الأدبي الذي مصدره البشر ، التركيز على الجوانب الروحية والخلقية والاجتماعية لغرس الفضائل والقيم وترقية الوجدان ، سهولة الألفاظ ووضوح العبارات الأمر الذي يجعله مناسباً للفئات العمرية المختلفة))١٥ .

ووضوح عبارات القصص النبوي وأسلوبه الرائع هو الذي جعله مناسباً للفئات العمرية المختلفة ، وكذلك خصائصه الأخرى من فكرة هادفة وخوارق مصاحبة لأحداث القصة النبوية ، فما من قصة نبوية إلا وبإمكان المتلقي سردها لابنه الصغير ، فيفهم مرادها ابتداءً من قصة ساقي الكلب وانتهاءً بقصة أصحاب الغار ، وهذا الوضوح في الحوادث هو الذي أضفى عليها هذا الطابع ، وهذا ما نفتقده في أغلب قصص الأدباء .

ويرى د. محمود شعبان إبراهيم أن الخصائص العامة للقصة النبوية تتمثل بكونها حقيقية واقعية لا تجنح إلى الخيال ، وتتميز بالقصر غالباً وقلما تطول ، فضلاً عن اتسامها بوحدة الغرض١٦ .

أما الباحث محمد زكريا فيرى أن من سمات السرد النبوي الومضة القصصية ، فمن يطالع الأحاديث القصصية للنبي ﷺ لا يلمحُ قصصاً تامة بل ومضات موجزة تشع في طياتها الأحاديث فكرة أو عبرة ، فقد تتقاصر الأقصوصة في الحديث النبوي حتى تبلغ الأسطر القليلة ، وقد تستطيل حتى تبلغ مقدار الأقصوصة القصيرة فلا تتعدى الصفحات ، وهذا من القليل النادر ، وعلة ذلك أن النبي ﷺ ليس بكاتب قصة بل مقصده منا أن يأتي بالعبرة والموعظة في قالب القصة ، مراعياً بذلك الميل الحكائي عند البشر ، فكان ﷺ يعرض أبرز الأفكار وأقدس التعاليم في قالب الحكاية والأقصوصة والخبر ؛ لأن ذلك أكثر وقعاً في النفس ، ومن سماتها الأخرى

الخطاب العالمي ، فقد تجاوزت الوسط المحلي الضيق وحلقت بعيداً فوق إسار البيئات للشعوب والأمم . أما شخصياتها فقد كانت إيجابية نشطة فاعلة على اختلاف أمزجتها وفلسفتها وأعرافها١٧ ، وقد سمى الباحث عمر محمد جاسم ذلك بـ " القيمة الشعورية "١٨ .

وهذه الميزات شاملة وجامعة لكل الميزات السابقة التي ذكرها الباحثون السابقون وإن اختلفت هيئة التعبير ، إلا أن المضمون واحد ، وهو مدار رؤية الباحثين المُحْدَثين لهذه الميزات للقصص النبوي في مضمار وصفهم لها .

ويرى الباحث عثمان قدري مكانسي أن الرسول ﷺ استعان بالأسلوب القصصي ((لأنه رآه من أبلغ الطرق المؤدية إلى توثيق الفكرة وإصابة الهدف ، بعض القصص التي جاءت في أحاديث رسول الله ﷺ كانت تامة العناصر من مقدمة وشخصيات وأحداث زمانية ومكانية وعقدة تصل بالقارئ والسامع إلى نقطة التأزم ، ثم حل في آخر المقام ... وبعض القصص تتجاوز بعض عناصر القصة وتركز على بعضها الآخر ؛ لأن النبي ﷺ لم يكن يريد من القصة القصة نفسها ، إنما أراد الهدف منها ، فإذا وصل إلى ما يبتغيه من الهدف التعليمي اختصر في بعض عناصرها))١٩ ، ثم ذكر الباحث مجموعة من القصص النبوي كأمثلة على ما ذكر ، فالهدف تعليمي في المقام الأول كما يشير الباحث .

ويقف محمد قطب عند الصورة الإيجابية التي تحملها القصة النبوية والتي تمثل ركيزة من ركائزها ؛ لأنها تحمل الهدف المنشود للمتلقي في مختلف العصور ، فيبين أن ((النفس البشرية لها حظ موفور من القصص النبوية ؛ لأنها لبنة المجتمع ومن خلالها يتحقق الهدف من الخلق ، والقصة النبوية تصور الإنسان تصويراً صادقاً فتعرض ما فيه من نوازع الخير والشر ، وما ينطوي عليه من القوة والضعف ، لكنها تحاول أن تسمو بالإنسان إلى آفاق عليا وتنقذه مما لديه من استعداد للهبوط والالتصاق بقبضة الطين ، وحينما تُعبّر عن لحظة الضعف البشري لا تصنع منها بطولة تستحق الإعجاب ، بل تعرضها عرضاً واقعياً ، كما أنها لا تقف عندها طويلاً وإنما تُسرع لتسلط الأضواء على لحظات الاستعلاء والإنابة إلى الله ﷻ ؛ لأنها لحظات التغلب على الضعف البشري وهي الجديرة بالاهتمام))٢٠ ، فلحظات الضعف لبعض شخوص القصة النبوية ، أو سلوكيات الشر عند بعض شخوص هذه القصص كانت بمثابة تزكية وتنفيس للنفس المتلقية لهذه القصة النبوية في مختلف العصور علّها ترعوي بما تسمع ، فالتصوير لهذه الجوانب يحمل في طياته التنفير منها في عرضها السريع ولحظاتها الخاطفة في سرد القصة ، ويمكننا أن نُمثِّل لذلك بقصة البغي التي سقت الكلب٢١ ، فلم تتوقف القصة عند سلبية هذه المرأة أو تأريخها التفصيلي في الماضي ، وإنما وقفت عند شعورها الصادق الذي أهّلها لنيل مرضاة الله تعالى ، ونفهم من ذلك أنها تابت وأنابت لله تعالى وأقلعت عما كانت عليه .

والقصة النبوية – كما يرى د. محمد لطفي الصباغ – تسكت عن ((ذكر المغزى وتترك للسامع أن يستخرجه وهو بذلك يكون أكثر تأثراً ؛ لأنه يتبنى المغزى عن اقتناع ، وقد يحس بأنه هو صاحب الفكرة لم يفرضها واعظ عليه ولم يوح معناها إليه أحد ، والنفس تنفر من الأسلوب الوعظي التقريري))٢٢ .

واكتشاف هذا المعنى والمغزى من السهولة بمكان ، فهو واضح جداً ، ولكنه يستتر خلف السطور ؛ لينال المتلقي متعة البحث عنه ، فيتبناه عن اقتناع تام بمحتواه وبما يشير إليه ، فمثلاً عند سماعنا للقصة النبوية الآتية ، قال النبي ﷺ : ((أن رَجُلًا كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، أَتَاهُ المَلَكُ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ ، فَقِيلَ لَهُ : هَلْ عَمِلْتَ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ : مَا أَعْلَمُ ، قِيلَ لَهُ : انْظُرْ، قَالَ : مَا أَعْلَمُ شَيْئًا غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا وَأُجَازِيهِمْ ، فَأُنْظِرُ المُوسِرَ، وَأَتَجَاوَزُ عَنِ المُعْسِرِ، فَأَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ))٢٣ ، عند سماعنا لهذه القصة نعلم من أول وهلة منزلة التجاوز عن المعسرين في خضم التعامل اليومي معهم وإلى ما يوصل صاحب هذا التعامل من النعيم المقيم عند رب العالمين .

وينص د. مصطفى عبد اللطيف على أن قصص النبي ﷺ ((موجه هادف إلى التعليم والعظة والاعتبار ، لكن ذلك لم يطبع محتواه بالجمود ولم يحده بحدود ضيقة ذلك أنه ﷺ كان يروي قصصه لسامعين تتنوع ظروفهم ومشاكلهم وأخلاقهم ، فهو يروي من القصص ما يناسب هذه الأحوال ويعالجها ، ومثالها قصصه الذي يدور حول الصلات المنحرفة بين الرجل والمرأة ، وفيه قصة جريج وهو أنموذج المتهم البريء الذي يبرئه الله تعالى من أجل إيمانه وتقواه ويرد التهمة وخزيها إلى أصحابها على لسان صبي في المهد ، ومن قصص هذا الموضوع ثاني الثلاثة الذين حبستهم الصخرة في الغار ٢٤ ، فهي مع أنها تدور حول الخطيئة إلا أنها تخالف غيرها في أنها تصور مراجعة النفس في وجه أقوى الدواعي والغرائز))٢٥ .

فالمتأمل في هذا النص يجد الاستعانة بقصتين بُغية إثبات أمور عدة يمكن إجمالها بالآتي :

١- التمايز بين بطلي القصة من حيث التقوى والثراء المادي ، فالمرأة فاضلة تمتنع وتتقي ولا تُذعن إلا مضطرة لدواعي القحط والجوع . أما الرجل فكان مغرماً بحب هذه المرأة ولم يكن ذا جاه أو ثراء .

٢- هناك شروط وضعتها المرأة حال دون إشباع رغبة الرجل ، منها : جمع المال .

٣- البعد الزمني الذي حال بين ما اشتهى طويلاً ، إلا أن هذه المدة الزمنية بمثابة تذكرة بالتقوى وبروز بواعث الخير من داخله .

إن هذا الأمر دفع د. مصطفى عبد اللطيف إلى الإشارة إلى ((ميزة من ألزم ميزات قصص النبي ﷺ وهي الاقتصاد ، فنحن نفهم أن المرأة ما كانت تكره ابن عمها ، لكنها كانت تكره الحرام ، وإن الرجل ارتد عن هذا الحرام ، وكان من الممكن أن يمضي أي قاص آخر ليصور طلب الرجل صاحبته بما أحل الله وما وفق إليه من خير في ذلك ، لكن رسول الله ﷺ قطع القصة حيث رأى أن العبرة تمت وصراع العواطف اتضح ولم يبق إلا تحصيل الحاصل))٢٦ .

وما أروع اختيارات الباحث في هذه النقطة تحديداً ، فلقد وُفِقَ في اختيار نموذج المتهم البريء في قصة جريج العابد ، وكذلك الحال مع البطل الثاني في قصة الثلاثة نفر الذين حبستهم الصخرة في الغار ، ولأن القصة النبوية تحاكي دوافع النفس البشرية بكل خفاياها كان هذا الصراع النفسي للبطل الثاني في قصة الغار الذي انتهى باستعلاء الإيمان في نفسه مما دعاه – في أصعب اللحظات – إلى إجابة نداء العفة والرجوع إلى الفطرة السليمة ، وهذا هو مغزى القصة النبوية والذي تطمح من المتلقي المسلم إلى أن يحذو حذوه في الموقف المماثل إن مرَّ به فهو مستطاع ، وليس مستحيلاً بدليل فعل هذا الرجل العفيف .

ويرى د. غازي طليمات وعرفان الأشقر أن ((القصة النبوية قد عُنيت أشد العناية بشؤون المجتمع وبثت في تضاعيفها من نقد السلوك وتحليل النفوس ما كشفت به عن حقائق الحياة وطبائع البشر ، ثم وضعت لكل معضلة حلاً ولكل انحراف توجيهاً ؛ لكي تجتث جذور الشر الضاربة في أعماق النفوس ، ولكن الحديث كان يؤثر الإيجاز على الإطناب فلا يطيل في سرد الأحداث ولا يسرف في حشد الشخوص ولا يمعن في عقد الحوار ، وحسبك أن تقرأ بضع جمل حتى ترى الحدث قد تأزم والحبكة قد انعقدت والصراع قد احتدم فلا تكاد تتشوق إلى الحل حتى يوافيك به أحياناً على ما تتوقع وأحياناً على غير ما تتوقع فإذا هو قد نفع وأقنع وأبدع وأمتع . ومن هذا الضرب تلك الأقصوصة البالغة القصر))٢٧ ، قال النبي ﷺ : ((كَانَتِ امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا ، جَاءَ الذِّئْبُ فَذَهَبَ بِابْنِ إِحْدَاهُمَا ، فَقَالَتْ صَاحِبَتُهَا : إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ ، وَقَالَتِ الأُخْرَى : إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ ، فَتَحَاكَمَتَا إِلَى دَاوُدَ ، فَقَضَى بِهِ لِلْكُبْرَى ، فَخَرَجَتَا عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ فَأَخْبَرَتَاهُ ، فَقَالَ : ائْتُونِي بِالسِّكِّينِ أَشُقُّهُ بَيْنَهُمَا ، فَقَالَتِ الصُّغْرَى : لاَ تَفْعَلْ يَرْحَمُكَ اللَّهُ ، هُوَ ابْنُهَا ، فَقَضَى بِهِ لِلصُّغْرَى ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : وَاللَّهِ إِنْ سَمِعْتُ بِالسِّكِّينِ إِلَّا يَوْمَئِذٍ، وَمَا كُنَّا نَقُولُ إِلَّا المُدْيَةُ))٢٨ .

ونلاحظ في هذه القصة النبوية مجيء حرف " الفاء " دون " ثم " وأثر ذلك في تسارع الأحداث وصولاً إلى نهاية الحديث المتمثل برجوع الابن إلى أمه الحقيقية ، وصدق الله تعالى إذ قال في محكم التنزيل : چ ففهمناها سليمانچ[٢٩] .

أمـا علاقـة الصـورة الفنيـة بالقصـة النبويـة ، فقد تطـرق إلـى ذلـك د. أحمـد ياسوف ، فبين أن علاقة الصورة الفنية بالقصة النبوية قائمة ما دامت القصة جنساً من التصوير يستغنى فيها عن القول المباشر ((وهكذا تكون القصة برمتها لوحة ناشطة الحركة عميقة الإحساس هادفة إلى تقرير الأسس الدينية ، وذلك لأن ميراث القصة الوصف والتفصيل ورسم المشاهد وهو وصف نفسي وجسدي لشخصيات ترسخ المبادئ من خلال الحوار والسرد بدلاً من النزعة الخطابية ، ويجب أن نفرق بين التصوير في القصة الحديثية وبين التصوير القصصي في الحديث النبوي ، إذ الأخير يدخل في نطاق التشبيه ، وقد وردت نماذج حديثية كثيرة جاء فيها المشبه به قصة لها أحداث وعقدة وشخصيات وحل للعقدة ، ويمكن أن نسمي هذا صورة قصصية تعمد إلى تفصيل لدقائق المشبه به وتثير الخيال بربطه بالمشبه ، وهذه الصورة القصصية في الحديث ذات مؤشر إلى عدم تأريخيتها ، وذلك بكلمة " مثل "))٣٠ ، كقوله ﷺ : ((مَثَلُ الَّذِي يَسْمَعُ الْحِكْمَةَ ، ثُمَّ لَا يُخْبِرُ عَنْ صَاحِبِهِ إِلَّا بِشَرِّ مَا يَسْمَعُ ، كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى رَاعِيَ غَنَمٍ ، فَقَالَ : أَجْزِرْنِي شَاةً مِنْ غَنَمِكَ ، فَقَالَ : اخْتَرْ ، فَأَخَذَ بِأُذُنِ كَلْبِ الْغَنَمِ))٣١ .

فهذا التصوير القصصي في الحديث النبوي أثار في ذهن المتلقي حقيقة سامع الحكمة الذي لا يؤديها ، وإنما يؤدي ما يناقضها من شر ما سمع ، وهذا الرجل الذي أتى راعي الغنم لا وجود له في عالم الواقع ، وإنما ذكره النبي ﷺ للتمثيل وتقريب الصورة ؛ ليتضح حال المشبه أشد الوضوح .

وقد اعتمدت بعض الأحاديث النبوية في بنائها التصويري على القصة كما يرى د. نور الدين عتر ، الذي ذكر مثالاً على ذلك قول النبي ﷺ : ((مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ ، كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا ، فَقَالَ: رَأَيْتُ الجَيْشَ بِعَيْنَيَّ ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ العُرْيَانُ٣٢ ، فَالنَّجَا النَّجَاءَ ، فَأَطَاعَتْهُ طَائِفَةٌ فَأَدْلَجُوا عَلَى مَهْلِهِمْ فَنَجَوْا ، وَكَذَّبَتْهُ طَائِفَةٌ فَصَبَّحَهُمُ الجَيْشُ فَاجْتَاحَهُمْ))٣٣ ، ثم بيّن اعتماد هذا الحديث الشريف في بنائه على القصة ليبين المصير الإنساني العام بين الجنة والنار وبيان خطره ، وهو مصير كوني ودائرة هائلة يقرنها الحديث بإغارة معادية مفاجئة ، ومن هنا جاء حسن الاختيار في الحديث ؛ لأنها صورة ذهنية معروفة في الواقع مؤثرة في نفس المتلقي تثير فيه الحذر العظيم .

الملاحظ أن القصة لوحة متكاملة ذات وحدة متماسكة ، فقد أبانت حرص الرجل على قومه ، وتجسد ذلك بـ :

١- كلامه الذي ينقلنا إلى صورة مشهد الجيش .

٢- حواره الذي يتضمن رؤيته العينية للجيش الذي صار مجسماً للعذاب الأخروي في القيامة .

٣- خطابه السريع ولهفته في الوصول إلى النجدة (النجاء ، النجاء) .

لذلك قال د. نور الدين عتر : ((هذا المشهد الذي يتضمن صوراً حركية عنيفة سريعة يجسم بمشاهده المحسوسة العذاب الأخروي ، انظر : (كَذبته ، فصبَّحهم الجيش ، فاجتاحهم) الصورة هنا نهارية في ضوء الصباح لكنها مفاجئة ، وفيها صور الدماء والدمار (فاجتاحهم) . إن الصور القصصية في النص لقطات من حياة الحرب وغاراتها المفاجئة المدمرة وحالة فورانها الحسية وتوترها في الأنفس مما دعا إلى الاعتماد عليها ؛ لتصوير الآخرة واختلاف مواقف الناس فيها ، فاستطاع البيان النبوي أن يقدم شاهداً واقعياً محسوساً بل دل به على الأسلوب الواعي في اتباع الدين وعلى أن الإيمان والاستقامة من متطلبات العقل (أدلجوا) وأن الكفر عناد ومخالفة للعقل والواقع المحسوس (إني رأيت الجيش بعيني)))٣٤ .

واختيار الباحث كان موفقاً في هذا الحديث النبوي الشريف الذي اعتمد في بنائه التصويري على الموروث الثقافي لدى المخاطبين ، فحادثة النذير العريان معروفة لديهم بتفاصيلها الكاملة ، والتي أعقبت طاعة هذا النذير النجاة لطائعيه آنذاك ، فما أحرى أن تتكرر الطاعة من المتلقين لتحصل لهم النجاة في الدنيا والآخرة كذلك .

المبحث الثاني : واقعية السرد النبوي .

السرد النبوي لم يكن مجرد سردٍ لمجموعة من القصص التي لا أصل لها ، وإنما هو سرد لأحداث وقعت لأشخاص عاشوا في غابر الأزمان ، ومن هنا كان هذا المبحث الذي سنسلط الضوء فيه على بعض آراء الباحثين المُحْدَثين التي تخص هذا الموضوع .

فقد تطرق بعض الباحثين المُحْدَثين إلى واقعية السرد النبوي ومناغمته للواقع في مختلف أزمنة وقوع أحداث هذا السرد ، فهو بعيد كل البعد عن الخيال الذي يسرح بعيداً عن الواقع باعتماده على حيثيات خارج الواقع المعيش في الماضي الذي مثّل زمن هذه القصص .

فناقش هؤلاء الباحثون هذا الموضوع مناقشة دقيقة ، فهاهو الباحث محمد سعد يرى أن موضوع القصة النبوية ((نسيج من الصدق الخالص ولباب من الحقيقة المصفاة لا تشوبها شائبة وهم أو خيال ، إذ هي صفحة من صفحات الواقع يعرضها ﷺ بلا تزويق ولا تمويه ، وهي في أسلوب أدائها نفحة من نفحات البيان العطر المتفرد في بلاغة تراكيبه وفصاحة مفرداته ، وهي في مقاصدها وغاياتها نموذج من نماذج الدعوة إلى الحق والهداية إلى مواقع الخير ووقف الخلق على مسالك الحق والميل بهم عن مسارب الضلال والبوار))٣٥ .

وأكد د . نور الدين عتر أن القصص النبوي يمثل أدباً ملتزماً لا وجود لشطحات الخيال فيه٣٦ .

وبيّن د . أحمد ياسوف أن القصة الحديثية ((تصوير حقيقي لا يقوم على خيال ، وخبر صادق يردف صدق الخبر القرآني في القصص فلا جنوح إلى خيال شارد ولا تلوين كاذب للوقائع ، إن هي إلا أحداث جاءت موافقة للأصل اللغوي لمعنى القصة ، ففي المعجم : ((قصصت الشيءَ : إذا تتبعتُ أثره شيئاً بعد شيء))٣٧ ، وعلى هذا تكون الشخصيات كائنات حية واقعية نشطة في الحدث كما كانت في حقيقتها ، فهي نماذج حقيقية وليست خيالية ، وعمق هذه الشخصيات والأحداث إذن ليس فلسفة للوقائع ، بل هو نقل أمين لأوضاع بأسلوب يواكب الدعوة الإسلامية))٣٨.

أما د. عز الدين علي السيد فقد بيّن أن القصة النبوية ((تتبع فكرتها من أجناس النفوس الكائنة الحية ، فلا تعالج أنماطاً منها في عالم مجهول ، فإن جنحت إلى عالم غير منظور بنته على تباشير الحاضر الشاهد به ، فربطت بينهما بسببية تمنع الطفرة وبألفة تؤنس بالرحلة وهي في ذلك كله وفي غيره الوسيلة المشتهاة للنفس الطلقة والأسلوب الرائع المؤثر في الوجدان))٣٩ .

فيما يرى د. غالب الشاويش أن القصة الحديثية تعتمد على الواقع والأخبار الصادقة وعدم الجنوح إلى الخيال ، فالقصة النبوية ((وسيلة تصويرية تجعل الشخصيات تقوم بتصوير الأفكار وترسيخ المفاهيم الدينية ، والذي يُلحظ في القصة النبوية أن عنصر الفكرة الهادفة هو السائد في القصة ؛ لأنها تخدم المجتمع الإسلامي على أكمل وجه من حيث الحث على الفضائل الحميدة والابتعاد عن الرذائل المشينة ، فالقصة النبوية تربوية هادفة غايتها إصلاح الفرد والأسرة والمجتمع ، فالقصة النبوية لها شرف السبق ؛ لاشتمالها على صفات فنية رائعة))٤٠ .

وترى الباحثة فوزية عبد الله سند أن ((الأحداث التي تصورها القصة النبوية عن العالم الآخر الخالد وما يلابسها من مواقف وظروف أحداث غيبية ، يكشفها المصطفى ﷺ عن طريق الوحي ، قال تعالى : ﭽوما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﭼ[٤١] ، وفي ظل الأحداث الغيبية تُنبئنا القصة النبوية عن أمور تحدث عن قرب نهاية العالم في الحياة الدنيا – أعني : إرهاصات الساعة – والقصة تعرض ذلك منذرة ومحذرة من مغبة ما يقع فيه الناس من محن وابتلاء))٤٢ . وترى أيضاً أن القصة النبوية ليست ((عملاً فنياً مستقلاً في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه ، كما هو الحال في القصة الأدبية الفنية التي ترمي إلى أداء غرض فني مجرد قوامه الخيال وهدفه الإمتاع ذلك أنها ذات هدف خاص ومصدر خاص))٤٣ .

لا يمكن للخيال أن يتسرب إلى القصة النبوية ؛ لأن مواقفها وأحداثها كشف عنها عن طريق إخبار الذات الإلهية لنبي الهدى ﷺ ، فضلاً عن كونها ذات قصدية وهدف معينين ، إلا أن هناك مواطن يمكن للتخييل أن يبرز ولكنه محكم في اقتصاره على إثارة تصورات ذهنية عند

المتلقين تعين على تصور أمور غيبية فيما يتعلق بالجزاء على الأعمال في الآخرة ، أو التحذير من أمور غيبية في المستقبل في عالم الشهادة ، هكذا يرى د. عيد بلبع٤٤ .

وقد ذكر الباحث مثالاً تطبيقياً على ذلك وهو قول النبي ﷺ : ((لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ ، فَأَيِسَ مِنْهَا ، فَأَتَى شَجَرَةً ، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا ، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا ، قَائِمَةً عِنْدَهُ ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ : اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ))٤٥ ، ثم بيّن أن هذا الحديث جاء في صورة تخييلية خالصة ، وبلاغة الرسول ﷺ في هذا الحديث لا تتجلى في ذلك المثل الذي ضربه فحسب ، بل تتجلى في الأسلوب المحكم الذي صاغ به هذا المثل ((إذ لم يأت هذا المثل في صيغة التشبيه المعهودة ، بل صاغه النبي ﷺ في صيغة أسلوب التفضيل ، وقد يكون الإنسان قاصراً عن تصور مدى فرحة الله بإقبال عبده المؤمن عليه بالتوبة والإقلاع عن المعصية فجاء النبي ﷺ بصورة تخييلية تبين مدى إقبال الله ﷻ على عبده المقبل عليه ، ومدى فرحته ﷻ بتوبة عبده ، فالأمر هنا لا يقتصر على تشبيه شيء بمثله أو بقرينه ، ولكن الأمر يرتفع فوق هذا بأسلوب التفضيل ، وعلى الرغم من ذلك فإن هذا الأسلوب لا يفقد فاعليته في نفس المتلقي تأثيراً وإقناعاً حتى تطمئن نفس المسلم فيُقبل في ثقة ويقين كاملين على ربه ﷻ ، وتتنامى فاعلية التأثير هنا في سياق الاستطراد في ذكر العناصر المتعلقة بالمفضل عليه ، حتى يتحول الأمر إلى صورة محكمة الصياغة نافذة الدلالة))٤٦ .

ثم بيّن أن صورة المفضل جاءت منتزعة من الواقع الذي يعايشه المخاطب فالراحلة عليها الطعام والشراب في المشهد الصحراوي كل ذلك مستوحى من الواقع ، والهلاك المحقق بعد ضياع الراحلة وما عليها جعل اليأس يأخذ بمجامع قلب هذا الرجل ((ثم نجد هذا الإنسان وقد أذعن لهذه الدواعي يائساً قانطاً ، ولنا أن نتصور مقدار فرحة هذا الإنسان عندما يرى بصيصاً من الأمل في النجاة بأن يرى قوماً على بعد منه أو نحو ذلك ، ولكن تلك الفرحة التي يحملنا النبي ﷺ على تصورها أضخم من ذلك وأعظم ، فهذا الآيس قد وجد راحلته وعليها طعامه وشرابه ، فإذا به يصاب بصدمة انفعالية عنيفة تأتي رد فعل طبيعي لظفره بدواعي الحياة المتمثلة في الراحلة والطعام والشراب))[٤٧] ، إذ إن ارتياحه النفسي لم يكن المقصد الأساس من هذه القصة ، بل تكمن في نجاة هذا العبد وإنابته إلى الله ؛ لأن ((انحسار أسباب الفناء والهلاك عنه ، ليعكس لنا تصور تلك الفرحة على الأمر الغيبي الذي سعت البلاغة النبوية لتمكينه في نفوس المسلمين ، وهو مدى فرحة الله ﷻ بتوبة عبده المؤمن التي هي أشد من فرحة هذا الإنسان براحلته ، ولكن هذا التصور الذي جاء في تركيب أسلوب التفضيل يمنع من محاولة المقارنة الحرفية التي من الممكن أن يُحدثها التشبيه الصريح ، ولكنه ربما كان أقوى منه في تحقيق

الغيبي))٤٨ .

فالتخييل في هذه القصة النبوية جعل المتلقي يستشعر مقدار فرح الله ﷻ بتوبة عبده ورجوعه إليه ، وهذا الاستشعار كان مفصلاً بمجيء قول هذا الإنسان من شدة الفرح : (اللهم أنت عبدي وأنا ربك) ، وبهذه العبارة تكتمل صورةٌ مُثلى ومثل أعلى في تخيل شدة الفرح تبرز هذه القدرة الأسلوبية البلاغية في طرق أبواب عدة للتخييل ، و((التخييل لا ينتهي عند حدود التصور لموقف من المواقف وملابساته فحسب ، بل يجعل المتلقي يعيش هذا الموقف بوجدانه وانفعالاته بتصوره لما يمكن أن يكون من خطأ في الكلام يدفعه إليه شدة الفرح التي عصفت بقلبه ، ثم ينعكس ذلك المشهد التصويري البديع على المفضل الذي استُهل به الحديث لنطلق لخيالنا العنان في محاولة لتصور مدى فرحة الحق تبارك وتعالى بتوبة عبد المؤمن العائد إلى رحابه ، وبذلك يفتح النبي ﷺ في هذا الحديث الشريف باب الأمل والرجاء وحسن الظن بالله ﷻ للمسلمين ، كما يمهد لهم سبيل التوبة تحفيزاً لهم ودفعاً عن مهاوي المعصية ليلجوا باب الطهر والنقاء))٤٩ .

وهكذا كان تناول الباحثين للخيال في القصة النبوية ، فهو يجيء لتقريب صورة معينة للمتلقي لتؤثر فيه هذا في بعض القصص النبوية كالتي ذكرناها ، والتي مثلت أحداثها ما يمكن أن يقع في زاوية المشبه به ، فهي أحداث لم تقع ، وإنما كان سردها لتقريب الصورة للأفهام ليس إلا ، أما القصص الأخرى فلا وجود للخيال فيها كقصة الثلاثة نفر الذي آووا إلى الغار فهي قصة واقعية حدثت في الزمن الماضي بكل تفصيلاتها لثلاثة أشخاص من بني إسرائيل ، وغيرها كثير ، وبعض هذه القصص كان التصريح بواقعيته منذ افتتاحه ، كما في بداية بعض القصص النبوي المفتتح بـ " كان فيمن كان قبلكم "٥٠ .

المبحث الثالث : عناصر السرد النبوي – دراسة وتحليل .

توقف بعض الباحثين المُحْدَثين عند مكونات البنية السردية لعامة القصص النبوي ، فأشاروا إلى حيثياتها المختلفة وسجلوا ذلك بتحليل فني كان من الروعة بمكان .

فيطالعنا د. محمد بن حسن الزير بدراسته الفنية والموضوعية في آن واحد لبعض القصص النبوية ، فقد أحصى القصص النبوي التي وردت في تسعة من مصادر الحديث

الشريف (موطأ مالك ، مسند أحمد ، صحيح البخاري ، صحيح مسلم ، سنن النسائي ، سنن أبي داود ، سنن الترمذي ، سنن ابن ماجه ، سنن الدارمي) فكانت تسعاً وثلاثين ومائة قصة ، وقد توقف على جوانب مهمة في القصة النبوية كأحداثها وشخوصها ، وجانبها الاجتماعي الذي رآه الطاغي على القصص النبوي ، ثم تأتي الجوانب الأخرى تباعاً كالجانب الفكري والعقدي٥١ .

ومن أروع ما أشار إليه فيما يتميز به عن سابقيه من الباحثين المُحْدَثين هو الوقوف عند نهاية القصة النبوية مسجلاً أبعادها النفسية المؤثرة في شعور المتلقي ، فيرى أن ما يلفت النظر في نهاية القصة النبوية ((أنها تحرص على أن تقدم للمستمع أو القارئ أحداثاً ومشاهد تختم بنهايات سارة ومفرحة بالنسبة لبطل القصة أو مجموعة من أبطالها ، وهي بالتالي ذات آثار تنعكس على نفسية المتلقي حيث تعطيه الرضا والطمأنينة والاستئناس بهذه المشاهد والخواتيم التي تزرع في نفسه بطريق غير مباشر بذور التفاؤل والأمل ... وتسجل النهاية في القصة النبوية في أحيان كثيرة انتصار الحق وانهزام الباطل مهما كانت الظروف ومهما أطال الزمن في عمر الباطل ، وقد يكون ذلك الانتصار الذي تسجله النهاية معنوياً يتمثل في الثبات على المبدأ وعدم الرضوخ إلى رغبة طغيان الباطل وأهوائه برغم ما يملكه من وسائل الإرهاب والعنف كما نجد في نهاية قصة أصحاب الأخدود٥٢ التي تسجل أروع انتصار يحققه الإنسان ، انتصار على الألم والضعف ولذة الحياة وحبها))٥٣ .

وما أروع ما قاله سيد قطب في تفسيره عن هذه القصة ، إذ قال : ((وتنتهي رواية الحادث التي تملأ القلب بشحنة من الكراهية لبشاعة الفعلة وفاعليها ، كما تستجيش فيه التأمل فيما وراء الحادث ووزنه عند الله وما استحقه من نقمته وغضبه ، فهو أمر لم ينته بعد عند هذا الحد ، ووراءه في حساب الله ما وراءه . كذلك تنتهي رواية الحادث وقد ملأت القلب بالروعة . روعة الإيمان المستعلي على الفتنة ، والعقيدة المنتصرة على الحياة ، والانطلاق المتجرد من أوهاق الجسم وجاذبية الأرض ، فقد كان في مكنة المؤمنين أن ينجوا بحياتهم في مقابل الهزيمة لإيمانهم ، ولكن كم كانوا يخسرون هم أنفسهم في الدنيا قبل الآخرة ؟ وكم كانت البشرية كلها تخسر؟ كم كانوا يخسرون وهم يقتلون هذا المعنى الكبير: معنى زهادة الحياة بلا عقيدة ، وبشاعتها بلا حرية ، وانحطاطها حين يسيطر الطغاة على الأرواح بعد سيطرتهم على الأجساد !))٥٤ .

وهكذا تتعدد صور الانتصارات في القصص النبوي ، فمنها الانتصار المادي للحق وأصحابه كما في قصة المرأة صاحبة الوليد في قصة المرأتين اللتين احتكمتا إلى داود عليه السلام ، ومنها الانتصار المعنوي كما تجسد في هذه القصة وغيرها من القصص النبوي كما في قصة

ماشطة ابنة فرعون أيضاً ، فالمصير متشابه وهو الحرق في النار في الدنيا لأصحاب الحق ، مما ولد نصراً للحق الذي يحملون ، فهو عظيم ثمين أغلى من الروح التي تسري في نفوس هؤلاء ، مما دعاهم إلى التضحية من أجله بأغلى ما يملكون ، فسطروا أمثلة رائعة في السماء والأرض بأن التضحية من أجل العقيدة رائعة بروعة العقيدة ، وهذه الأمثلة بالإمكان تكرارها في كل زمان ومكان ، فهي ليست بمستحيلة ، وهذا ما أرادت القصة النبوية إيصاله إلى المتلقين .

وقد توقفت الباحثة رزان عبده الحكيم عند قصص معينة ذكرتها ، ثم توقفت عند تقنياتها السردية ، فقد ذكرت قصصاً لنساء ذكرهن النبي ﷺ من عصور مختلفة من الأمم الماضية ، فذكرت قصة هاجر – عليها السلام – بوادٍ غير ذي زرع ، وقصة الأم مع وليدها في حادثة الأخدود ، وقصة ماشطة ابنة فرعون٥٥ ، وقصة المرأتين اللتين احتكمتا في صبي إلى داود وابنه سليمان – عليهما السلام –٥٦ ، وبعد ذكرها لهذه القصص استخلصت بعض التقنيات السردية فيها ، ومنها :

١- عرضت شخصية المرأة بألفاظ النكرة غالباً بما يوحي بأن الهدف هو الفكرة التي تحملها لا شخصها ، بيد أن هناك شخصيات نسوية قد حددت وكان الكلام عليها مباشراً ، وهن السيدات هاجر عليها السلام وماشطة ابنة فرعون .

٢- التشويق الذي استعمله النبي ﷺ في بدايات القصص بما يناسب الأثر المراد حدوثه .

٣- القدرة على سرد الأحداث بدقة وإيجاز .

٤- تتراوح العبارات بين طول وقصر خدمة للفكرة ومناسبة للمعنى وترسيخاً للمبدأ ، وقد كررت بعض العبارات ، ومنها : عبارة (إنما ذهب بابنك) في قصة المتنازعتين على الولد لأهميتها فهي عقدة القصة .

٥- لجأ أسلوب القصة النبوية إلى السرد والحوار والتصوير ونأى بشخصياته عن التقرير والخطابة ؛ لتكون أعمق أثراً وأوضح صورةً[٥٧] .

وهذه القصص تندرج تحت ما يسمى " القصة التأريخية " التي تتمتع بعناصر فنية متكاملة ، ويمكن تصنيفها ضمن مجموعتين :

– مجموعة تخص السيدتين سارة وهاجر – عليهما السلام – تقترب من ذات الأسلوب المباشر ؛ لكونها تبرز المكانة وتقدم المستوى الأعلى للصفات البشرية .

– ومجموعة ثانية تتضمن قصصاً عن شخصيات من العامة ، وعندها لا تذكر الأسماء ، وإنما تُحدد المرأة بذكر شخصية مشهورة عاشت في زمانها ، كما في قصة المرأتين اللتين حكم بينها داود وسليمان – عليهما السلام – ، وقصة ماشطة ابنة فرعون٥٨ .

أما الشخصيات في القصص النبوي فقد ميَّزها بعض الباحثين المُحْدَثين وأفردوها بالدراسة ؛ لاكتشاف أنواعها التفصيلية ، فقد توقف عندها الباحث محمد زكريا ، فقال : ((تتميز

الشخصيات على سائر مقومات القصة ذلك أن الإنسان هو محور الحياة في الأرض ، ثم في السماء ، فالشخصيات قد تكون فاضلة تحمل قيماً إيجابية تنافح عنها كشخصيات الأنبياء والمرسلين – عليهم الصلاة والسلام – وشخصيات النماذج الإيمانية الراقية ، وقد تكون الشخصيات شريرة فاجرة تحمل قيماً سلبية وتذود عنها بكل ما أُوتيت من قوة ، وقد تتنوع أنماط الشخصيات بين شخصيات نامية تتطور مع الأحداث وتتنامى مع الوقائع كشخصية قاتل بني إسرائيل الذي قتل مئة نفس ثم تاب وأناب٥٩ ، وقد تكون الشخصيات فاضلة كاملة لا تتنامى مع الأحداث ولا تتطور مع الوقائع لأنها ولدت كاملة ونشأت فاضلة٦٠))٦١ . فيشير الباحث إلى الوصف العام لشخصيات القصص النبوي بما تحمله من قيمٍ إيجابية أو سلبية .

والشخصيات في القصص الحديثية متنوعة ، ويمكن أن يقع المرء على الأنواع المعهودة في فن القصة كما يرى د. أحمد ياسوف ((فهي شخصيات أساسية وثانوية من جهة حجم الفاعلية في تطوير الحدث وإسراع عجلة التصوير ، ونامية ومسطحة (غير نامية) ولا تتغير من حيث واحدة الفكرة وتنوع الأفكار وتغيرها مع الأحداث ، وإيجابية وسلبية من حيث التقييم الإنساني للأخلاق))٦٢ ، والشخصيات في السرد النبوي لها خصوصياتها على وفق الوظيفة المناطة بها ؛ لأن هذه الشخصيات تمثل الصراع بين الخير والشر ((فهم لا يحيون حياة عادية ، فترى الخائف من عذاب ربه يُحرق نفسه ، ويترك مشتري العقار الذهب ، إنها الخيرية في أسمى مراتبها ، وإذا كان الفن القصصي يهتم بالأبعاد الثلاثة للشخصيات : البعد النفسي والبعد الجسدي والبعد الاجتماعي))٦٣ ، والملاحظ أن الجانب النفسي هو الغالب على السرد النبوي ؛ لأنها قصص تعنى بالصراع الفكري ، فلا يرتبط هذا الصراع ((بواقع اجتماعي معين أو طبقةٍ اجتماعيةٍ ما ، وحين ركزت القصة الحديثية على الملامح النفسية مرَّت ببعض الأوصاف الجسدية ؛ لتكون ذات فاعلية في تنشيط الحدث واستحقاق النهاية ، فهناك صفة الأقرع والأبرص والأعمى ، وثمة شخصيات ثابتة لا تتأثر بالحوادث فتظل على نمطها الخُلقي من أول القصة إلى نهايتها مثل الكاهن في قصة الغلام والراهب))٦٤ . فالذي يُميز هذه الشخصيات هو البعد النفسي أولاً ؛ لأن المستهدف هو النفس البشرية في الخطاب المتضمن لهذه القصص ، ومن ثم تأتي الأوصاف الجسدية أداة مكملة في رسم معالم هذه الشخصيات ، ولأنها تؤثر في الشعور من ناحية أخرى ، فنفسية الأعمى تختلف عن نفسية الذي يُبصر ، ونفسية السليم تختلف عن نفسية العليل ، وهلم جرا .

أما الشخصيات النسوية في القصة النبوية ، فقد توقفت عندها الباحثة رزان عبده الحكيم ، فذكرت أنواعها المعهودة والمتمثلة بالشخصيات الأساسية والثانوية ، النامية والثابتة ، الخيِّرة والشريرة ، القوية والضعيفة ، ثم فصَّلت القول وطبقت ما نظَّرت له على القصص التي ذكرتها ،

والتـــــــــــــــــي مثلـــــــــــــــت المـــــــــــــــرأة محـــــــــــــوراً بـــــــــــــــارزاً فيها ، إذ وزعت هذه الشخصيات النسوية على النحو الآتي :

أ – الشخصيات الأساسية والثانوية : فالشخصيات الأساسية مثلتها كل من السيدة هاجر – عليها السلام – ، وماشطة ابنة فرعون .أما الشخصيات الثانوية فمنها : الأم المسنة في قصة الثلاثة النفر الذين سُدَّ عليهم الغار ، فلقد أسهمت هذه الشخصية الثانوية في إضاءة جانب مهم في شخصية أحد هؤلاء الثلاثة ، فقد بينت درجة البر التي وصل إليها ابنها الذي نجا بسببه من الموت .

ب – الشخصيات النامية والثابتة : كانت أغلب الشخصيات ثابتة لا تتغير مبادئها أو صفاتها ، فماشطة ابنة فرعون تموت دفاعاً عن عقيدتها ، وعرضت القصة النبوية بعض الشخصيات النامية ، فالزانية بعد أن سقت الكلب غفر لها ، وهذا يعني إقلاعها عما كانت عليه بعد أن فجَّر الله فيها كوامن الخير ببركة عمل يسير أخلصت فيه لله .

ج – الشخصيات الخيِّرة والشريرة : ويلحظ غلبة الخير على الشخصيات مع تفاوت في ذلك ، فهي على أشدها فيمن دفعت حياتها ثمن إيمانها بالله ، وذهب الحديث النبوي أبعد من ذلك عندما التقط نقطة مضيئة لشخصية غارقة في الوحل عطفت على حيوان ليبين غلبة الخير عليها ، وبذلك رسخ النبي ﷺ فكرة ملخصها أن الخير هو الفطرة الإنسانية والشر عارض طارئ ، ومن تمام الصورة البشرية ألا يُهمل جانب الشر الذي قد يطرأ فيشوه السمات الإنسانية ، وذلك ما بدا في الأم التي أرادت سرقة ولد غيرها لموت ولدها .

د – الشخصيات القوية والضعيفة : وسواء أكانت الشخصية رئيسة أم ثانوية ، نامية أم ثابتة ، خيِّرة أم شريرة ، فإن القوة تطغى عليها ، وقد مثلت السيدة هاجر – عليها السلام – ذلك خير تمثيل وتقف في مقابلتها الأم التي ادعت نسبة الولد إليها٦٥ .

ثم أشارت الباحثة إلى أن هذه الشخصيات من حيث العموم تتفاوت في مجملها من حيث القوة والضعف ((وتقف في طليعتها الماشطة ، والبغي التي سقت الكلب ، وتتبعها الأم في قصة أصحاب الأخدود ، إذ يلتقط البيان النبوي لها لحظة تردد لا تلبث بعدها أن تعود لقوتها ، وجسدت القصة النبوية أقصى مراتب الضعف الذي يصيب المرأة عندما ترد إلى أرذل العمر ، ويبقى مستوى معيشتها والحفاظ على مكانتها رهناً بدرجة بر ولدها من خلال الأم في قصة أصحاب الغار ، يمكننا بعد ذلك القول : إنها شخصيات قوية والضعف فيها طارئ سببه ظرف اجتماعي أو نفسي))٦٦ .

وهذا الجهد الذي تميزت به الباحثة عند وقوفها عند الشخصيات النسوية في القصص النبوي يُعدُّ أبرز الجهود فيما بين يديَّ من جهود الباحثين المُحْدَثين عند وقوفهم عند هذا المحور

، فجاءت تفصيلاتها شاملة جامعة لكل أنواع الشخصيات ، ولم تترك شيئاً ، وهذا ما يُحسب لجهدها المتميز .

والزمن في القصص النبوي قد أشرتُ إليه سابقاً بوقوف بعض الباحثين المُحْدَثين عنده في قصص نبوية معينة ، وتوقف عند بعض أبعاده الأخرى د. مصطفى عبد اللطيف ، فقال : ((وقد يقص النبي قصة أخروية فيأتي بها على أنها ماضٍ حدث وثبت ... وقد يزدوج الزمن في القصة الواحدة ، ويكون قسم منها من حوادث الدنيا وقسم من حوادث الآخرة ، فيروي رسول الله ﷺ كل قسم في موضعه المعروف له عندنا ، الدنيا فالآخرة ، قال رسول الله ﷺ : ((كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاخِيَيْنِ ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ ، وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ ، فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ فَيَقُولُ : أَقْصِرْ ، فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ فَقَالَ لَهُ : أَقْصِرْ ، فَقَالَ : خَلِّنِي وَرَبِّي أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا ؟ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ ، أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ ، فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا ، فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ : أَكُنْتَ بِي عَالِمًا ، أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِرًا ؟ وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ : اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي ، وَقَالَ لِلْآخَرِ : اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ))٦٧ من الواضح أن الترتيب الزمني هو الترتيب الذي نتوقعه مع أن القصة كلها مروية على أنها حدثت في الماضي ومع أن الانتقال من القسم الدنيوي إلى القسم الأخروي صور على أنه كان سريعاً لا يكاد يستغرق وقتاً (فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا ، فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ) وهو أمر يناسب تصوير المفاجئة ويقوي تأثيرها ، ففي لحظات ينتهي المجتهد في العبادة إلى النار ، والمسرف على نفسه إلى الجنة برحمة الله))٦٨ . ومعلوم لدينا أن الحديث في مثل هذه القصص النبوية عن المستقبل بلفظ الماضي هو لتحقق وقوع ما يُتحدث عنه ، فالجنة والنار في الآخرة ، ولكن جاء الحديث عنهما وكأن الأمر قد حصل وانتهى ؛ لتحقق وقوع ذلك يوم العرض على الله ﷻ مما يزيد في ثقة المتلقي وإيمانه بمجيء هذا الجزاء في الآخرة .

وكذلك تحدث الباحث محمد زكريا عن مستويات الزمن في القصص النبوي ، فجاء حديثه شاملاً لجميع مستوياته وأبعاده مما جعل جهده مميزاً عن جهد من سبقه من الباحثين المُحْدَثين الذين تحدثوا عن الزمن في القصص النبوي عامة ، أو في قصة معينة ، فقال : ((والزمن في القصص النبوي ذو مستويات ثلاثة : الأول : الزمن الذي تجري فيه أحداث القصة ، وهذا ما يتلاءم مع سنن الحياة ، إذ لا حدث دون زمن . والثاني : زمن الخطاب : وهو زمن سرد النبي ﷺ للقصة ورواية أحداثها على مسامع الصحابة ﷺ لتحريرهم من الزمن الحاضر وجعلهم ينطلقون في آفاق الزمن من ذكريات الماضي وعبره إلى استشراف المستقبل لإعداد خططه . والثالث : الزمن المطلق : وهو الزمن الشامل الذي يتوالى عبر العصور والعهود منذ بدء الخليقة إلى قيام الساعة ، وفي هذا الزمن إشارة إلى اتساع فضائه لكل ما يصدر عن الأنبياء والمرسلين

– عليهم الصلاة والسلام – من هدي إلهي وتشريعات سماوية ، فكأن النبي ﷺ يريد أن يجمع الزمان ويعرضه منشوراً أمام ناظري المتلقي المسلم ، ومتى عرف المرء أسرار الزمان وعوائد الأيام فقد بلغ الحكمة الكبرى))٦٩ .

وأشار د. أحمد ياسوف إلى أنه يمكن أن يُحدد الزمن الماضي للأحداث ((كان فيمن قبلكم)) ، أو تؤطر بأنها وجدت في بني إسرائيل٧٠ ، ثم بيّن أن الزمن داخل القصة يتنوع بين طول وقصر ((فقصة الغلام على طولها لا يعدو زمنها الأيام أو الأشهر ؛ لأن بطلها ظل غلاماً إلى نهاية القصة ، وقصر الزمن لا يتصل بالموقف الجزئي كما في القصة القصيرة في عصرنا ، ويطول الزمن في قصة أصحاب الغار باسترجاع أحداث سابقة مرَّ بها كل من الأبطال الثلاثة ، ويكاد يقصر الزمن نسبياً مع مشتري العقار ، وتعد قصتا الكلب العطشان مع الرجل والبغي لقطتين قصيرتين تبرزان موقفين ومصيرين أُخرويين ، وقد عبر بالزمن الماضي عن الأشياء المستقبلية مما يفيد الدلالة على صدقه واستحضار المشهد الغيبي (فأمر الأرض) في قصة الخائف من عذاب ربه (اجمعي ما فيك ففعلت)))٧١ .

أما المكان في القصص النبوي فيتعدد في بعض القصص ويتوحد في بعضها الآخر كما يرى د. أحمد ياسوف ((فيتعدد مثلاً في قصة الغلام ، فهناك مجلس الملك وحشد الجماهير في الساحة وبطن البحر وذروة الجبل ، ويتوحد المكان في قصة الكلب العطشان))٧٢ .

في حين يشير الباحث محمد زكريا إلى أن المكان العارض ((هو الإطار الحقيقي للأفكار التي تتضمنها كل قصة من قصص المصطفى ﷺ التي لا تخلو أياً منها من مكان عارض تجري فيه الأحداث وتتفجر في رحابه شعاعات من الإيحاءات " الكهف ، المهد ، الفلاة "))٧٣ .

ومثلما كان حل العقدة في القصص النبوي يجري بمشيئة الله وحده وتدبيره ، فلا يد للبشر فيه كما في قصة أصحاب الغار والمقترض ألف دينار ، كذلك كان سرد الأحداث في هذه القصص النبوية يجري على وفق ذلك أيضاً ، فقد تضمن سرد الأحداث في القصص النبوي ((أفعالاً خارقة وهي ليست خارقة للعقل ؛ لأنها معجزة أو كرامات مبنية على قوانين أُخروية يقوم بها الله ﷻ ويُظهرها على أيدي أوليائه كما هو معهود في قصص القرآن الكريم ، بل إن الفعل الخارق هو الذي يُسيِّر الأحداث مثل قتل الدابة في قصة الغلام والراهب ، ويعد نداء الصبي لأمه في النار خرقاً للاستسلام إلى طبيعة النهاية الحسية ، فكان مفاجأة في نطقه خصوصاً في أحشاء النيران ، وهذا ليس من القصص الرمزي مثل " كليلة ودمنة " إذ يُنطق الله ما يشاء بقدرته ، وكذلك تتجلى الخارقة لدى مد الأرض وتقصيرها في قصة القاتل كما

جاءت بعض الأحداث مصورة في عالم الغيب لتكون حلاً للمشكلة في عالم الشهادة))٧٤ ، هكذا يرى د. أحمد ياسوف .

ويوضح الباحث محمد زكريا سبب عدم توافر التذبذب في المواقف في أحداث ووقائع القصص النبوي إذ للخير أنصاره وللشر أنصاره ، ولكلٍ مواقفه الواضحة في أحداث هذه القصص ، فيقول : ((لا نرى في الأحداث والوقائع في القصص النبوي لوناً رمادياً يتوسط الأبيض والأسود ؛ لأنه لا يوجد في معركة الحق إلا خير أبيض يقارع شراً أسود ، والتأريخ في أسفاره كلها يشير إلى أن كل الوقائع والأحداث تنطلق من الصراع بين الخير متمثلاً في الأنبياء والمرسلين ومن سار على هداهم وبين الشر متمثلاً في الطغاة والجبابرة)) ٧٥. فالصراع محتدم إلى نهايته بالانتصار المطلق للخير سواء أكان هذا الانتصار مادياً أم معنوياً ، والخير ينتصر برعاية الله ﷻ وتوفيقه ليس إلا .

ويعد الباحث محمد حسن الزير الحدث في أية قصة ((روحها الذي يمنحها الحياة والحيوية ، وهو في القصة النبوية العنصر المهم والغالب فيها بحيث نجده هو المسيطر وهو البارز وهو محط الاعتبار فيها ومنبع التطلع والإثارة ، ولذلك فالشخصيات نفسها حين ترد في القصة لا يهتم بها لذاتها ، وإنما تكون العناية بما سيحدث لها ، وتكون العناية بمواقفها وأفعالها ، ومن هنا نجد الكثير من هذه الشخصيات ترد في القصة وهي في صورة نكرة (امرأة) أو (رجل) أو ما شابه ذلك من الألفاظ المرادفة))٧٦ ، فانطلق الباحث من الألفاظ النكرة ليُحدد قيمة ودور الشخصية في القصة النبوية مقارنة بالحدث الذي سيحدث لها ، إذ يُعدُّ الأهم من بين مفاصل القصة الأخرى ، وهو كذلك فكيف ستكون هناك قصة بلا أحداث ؟

وإلى ذلك ذهب د. أحمد ياسوف ، إذ قال : ((الاهتمام بالحدث واضح بارز في قصص الحديث ، إذ يُسكت عن الأسماء وتكون العبرة بالحدث نفسه والتمثل به وبالشخصية النموذجية إلا ما كان من اسمي جريج والكفل٧٧ في قصتهما ، وكلاهما امتحن في قصة زنا ، الأول اتهم والثاني حاول فعلته

المعتادة ، كما يسكت عن أسماء الأمكنة إلا ما يؤطر بذكر بني إسرائيل ، وقد جاء التعبير " قرية كذا وكذا " و " جبل كذا وكذا " لدى رغبة القاتل في التوبة ، ولدى محاولة الملك قتل الغلام المؤمن كما في قصة الغلام والراهب ، وتلك سمة فنية فكرية مستمدة من أسلوب القرآن الكريم في القصص))٧٨ .

ويتقارب منهج الباحث محمد سعد عند وقوفه عند القصص النبوي مع منهج الباحث محمد زكريا المذكور آنفاً ، مما يُغنينا عن الإعادة هنا ، فقد توقف عند العناصر الفنية في القصص النبوي من شخصيات وبيئة وغير ذلك٧٩ .

وكذلك الحال مع د. عز الدين علي السيد الذي أفرد جزءاً من كتابه للحديث عن القصص النبوي ومعالجته فنياً ٨٠ .

والخطاب في القصص النبوي هو ((المروي بلغة الراوي وبأسلوبه وطريقته ومنظوره ، والراوي هو النبي ﷺ ، وقد تحلى بأنزه ما يتحلى به الراوي من أمانة النقل وصدق الرواية))٨١ . هكذا يرى الباحث محمد زكريا أما الكيفية التي كان النبي ﷺ يسرد فيها القصة فقد توقف د. مصطفى عبد اللطيف عندها ليسلط الضوء على ماهيتها ، فبين أنه في كثير من قصص النبي الكريم نجد ما يشعرنا أنه ﷺ كان يرويها في مجالسه التي ينبسط فيها إلى أصحابه ، وفي مثل هذا المجلس كان رسول الله ﷺ يروي قصصه مستخدماً وسائل التشويق والتوضيح والتصوير٨٢على نحو ما ورد في حديث أبي هريرة ﷺ في قصة الثلاثة الذين تكلموا في المهد ، قال أبو هريرة ﷺ : ((فكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي صنيع الصبي ووضع أصبعه في فمه فجعل يمصها))٨٣ .

أما كيفية بدء الحدث داخل القصص النبوي فمتنوعة ، فمنها أن تكون ثمة فُجاءة تكسر النمطي الذي يسير على وتيرة واحدة كأن تكون مقدمة هذه القصص ((بَيْنَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً إِذْ رَكِبَهَا فَضَرَبَهَا ، فَقَالَتْ : إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ لِهَذَا ، إِنَّمَا خُلِقْنَا لِلْحَرْثِ ، فَقَالَ النَّاسُ : سُبْحَانَ اللَّهِ بَقَرَةٌ تَكَلَّمُ ، فَقَالَ : فَإِنِّي أُومِنُ بِهَذَا ، أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ ، وَمَا هُمَا ثَمَّ))٨٤ ، ((بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ ، كَادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ))٨٥ ، و " إذ " هنا للمفاجأة التي غيرت الحدث ثم قلبت شخصية البغي . هكذا يرى د. أحمد ياسوف٨٦ .

أما تدخل الراوي وهو النبي ﷺ في سرد القصة فقد كان ((ضئيلاً وذلك لاستمرار المستمع في المشاهدة الذهنية والاستمتاع بالتفاصيل ، وجاء التدخل في قصة " البقرة والذئب " ، فقال ﷺ ((إني أؤمن بهذا أنا وأبو بكر وعمر وما هما ثمَّ)) ، ولم يكن من داعٍ إلى تدخل الراوي في القصة الحديثية مما أفاد جمالاً في انسياب تصوير الأحداث والشخصيات ، بل كان الأبطال هم المصورين للأفكار ، إلا أننا نقول باطراد جمال قلة تدخل الراوي ، بل قد يعد وعظاً منبهاً واستراحة من السرد وإضاءة في الطريق ، ولا يصل إلى سلبية التقرير))٨٧ . هكذا يرى د. أحمد ياسوف .

وجاء تدخل الراوي وهو النبي ﷺ ليثبت قضية فاصلة تتعلق بأمر غيبي اعتقادي قد يشك المتلقي فيه ، فتدخل الراوي ليؤيد مضمون القصة مما يعطيها قوةً في الإثبات والإقناع لا مجال لرده أو الشك فيه من المتلقي في كل زمان ومكان ، ولا سيما بعد علم المتلقين أن الراوي مؤيد بالوحي الإلهي وهو النبي المرسل الصادق الأمين .

أما الحبكة في القصص النبوي فقد توقف عندها د. أحمد ياسوف أيضاً الذي تميز جهده بالشمول والمعالجة الفنية الدقيقة للقصص النبوي ، فبين أنها من ((النوع المتماسك العضوي من حيث القوة ، ومن حيث الشكل هي حبكة مركبة تحتوي على حكايتين أو أكثر كما في قصة الغلام وأصحاب الغار ، وحبكة بسيطة تحتوي على حكاية واحدة كما في قصة شاري العقار ، وقصة الكلب العطشان الذي يحدد العقدة بلحسه الأرض وتحسس رطوبتها من فرط العطش ، وفي قصة المقترض٨٨ تكون المقدمة هي العقدة ؛ ولذلك يتبعها العرض الذي يُصعِّد العقدة تصعيداً رفيقاً فلا عقد ولا شاهد ولا كفيل ، ويتدرج الزمن في المضي وتلوح العقدة من جانب المقترض الذي يعيش في قلق لانتفاء الوسيلة إلى صاحبه))٨٩ ، وما إن نصل إلى نهايات القصة حتى نجد العقدة تخفت وتتضاءل شيئاً فشيئاً ؛ لأن المقترض ((يثق بالله ويكون الحل في ظاهره ضرباً من المجازفة إذ يضع المال في خشبة ويستلم المقرض الخشبة حطباً لا مالاً ، وكان من الممكن أن تحرق مباشرة ، ولكن الشهيد والكفيل الله ﷻ قد ألهمه أن تُنشر ليصل إلى الوديعة ، وتؤكد القصة الإيمان والثقة بالله ، وتُختم بعبارة (إن الله قد أدى عنك) من دون غيرها من عبارات تدل على وصول المبلغ))٩٠ .

والحبكة وتأزمها من حيث الحدث والموقف والحل كل ذلك يجري على وفق عناية ربانية ، وهذا ما يُميز القصص النبوي عن قصص الأدباء ، ففي الأخيرة كل شيء يجري على وفق الواقع المادي الملموس ، أما في القصص النبوي فالنواميس تختلف عند حدث معين لتجري على غير العادة لتحقق غاية منشودة هي مدار هذه القصة أو تلك ، وهذا ما دار حوله أغلب الباحثين المُحْدَثين حول مخالفة المألوف في حوادث القصة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام .

وبعد هذه الرحلة الممتعة في أجواء آراء الباحثين المُحْدَثين وهم يستقرؤون القصص النبوي مبرزين ملامحها العامة ، وواصفين لمغزاها التربوي ، ومستتبعين لجوانبها الفنية يجدر بنا أن نختم هذا الفصل بكلام لرائد دارسي البلاغة النبوية في العصر الحديث بعد الرافعي د. محمد رجب البيومي إذ يقول :

((وبعد : فماذا يشترط ناقدوا العصر الحديث في الأقصوصة الناجحة ؟ ألا يشترطون أن تكون ذات مقدرة على الإيحاء الملهم إذ تتيح للقارئ أن يستنتج ويحلل بحيث لا تشرح له كل شيء ، بل تتركه يشق بمخيلته آفاقاً من التصوير والتفكير ، وإذ ذاك يقاسم المؤلف بعض إبداعه دون أن يدفعه الإيجاز إلى بعض الغموض والإبهام .

كما يشترطون ألا تكون الأشخاص بوقاً يردد آراء الكاتب بل يحتفظ بكيانها المستقل ، فتأتي أقوالها وأفعالها صادرة عن طبيعة حية فعالة بحيث لا يستغرب من أقوالها وأعمالها ما يكون موضع المبالغة ، ثم ألا يشترطون أن يكون للقصة معنى خاص يلح على المؤلف ويحاول إبرازه في صورة جيدة بما يرسم من الانفعالات ، ويصور من مشاهد وأشخاص ،

ويشترطون ألا تأتي الحكمة والموعظة في القصة تقريرية جافة وكأنها قاعدة علمية ، بل توحي بها القصة إيحاءً وكأنها نتيجة تُستلهم من السياق وإلا استحالت القصة مقالة علمية . أما شروطهم في اختيار اللفظ الكاشف والمغزى الهادف فأوضح من أن يدل عليه ، فإذا جئنا بهذه الشروط لتطبق على المأثور من الأقاصيص النبوية أفنجدها أخلت بأحد هذه الشروط ؟))٩١ .

كلا وألف كلا ، فلقد حازت القصة النبوية قصب السبق في جوانبها الفنية المتعددة ، ولم تدع مقالاً لقائل .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد : فلا بد لنا في ختام بحثنا هذا من أن أنشير إلى بعض النتائج التي توصلنا إليها :

١- لم يتطرق العلماء القدامى إلى القصة النبوية ، بل ساقوها مساق الأحاديث النبوية الشريفة الأخرى . أما الباحثون المحدثون فقد اعتنوا بها بعدّها كياناً مستقلاً له خصوصيته ، فظهرت نتاجات رائعة في هذا الجانب .

٢- تميزت دراسات الباحثين المحدثين بالشمول والإحاطة والدقة في خضم حديثهم عن القصة النبوية ، إذ عالجوها معالجة فنية شاملة شافية شملت كل أبعادها وتقنياتها السردية ، وكان من أبرز القضايا التي عالجوها قضية واقعية السرد النبوي الذي انبثق من الحقيقة المطلقة .

٣- حملت القصة النبوية صورة إيجابية يطمح البيان النبوي من خلالها أن يتمثل بها المتلقي في واقعه المعيش ، فأشارت عليه بجملة من السلوكيات تلميحاً لا تصريحاً من خلال مجريات أحداث هذه القصص وأفعال شخوصها في سالف الأزمان ، فكانت بذلك تمثل توجيهات تشريعية في قالب القصة ، فالفن في خدمة الدين .

٤- كان التوجيه النبوي الذي جاء في قالب القصة يحمل في طياته تنويعاً في التوجيه للمتلقي مخافة السآمة والملل في استقبال التوجيهات الشرعية .

٥- كشفت القصة النبوية عن حقائق الحياة وطبائع البشر ووصفت لكل معضلة حلاً ولكل انحراف توجيهاً يُفيد من خلاله متلقوا هذه القصص في كل زمان ومكان . جاء ذلك من خلال تنوع الحبك في هذه القصص ، وكذلك شمولها لصنفي البشر (أهل الخير وأهل الشر) بنفسياتهم وطبائعهم المختلفة .

٦- قرّبت بعض القصص النبوية الصورة إلى المتلقي فيما يخص عالم الغيب تحديداً ليحس بها ويستشعرها كأنها ماثلة أمامه ، إذ لا سبيل لاستشعارها والإحساس بها إلا بهذه الطريقة ، ومن ذلك حديث فرح الله تعالى بتوبة عبده وغيره من الأحاديث الأخرى التي

أوضحت الصورة المراد إيصالها على شكل قصة ، فتكون بذلك صورة قصصية تختلف عن التصوير في القصة ، فهذا القصة لم تحصل لرجل معين ، بل جاء هذا العرض لتقريب الصورة ليس إلا

٧- لم تأتِ القصة النبوية لمجرد التسلية ، بل جاءت لتعوض عن كثير من الوعظ والإرشاد .

٨- كان الاهتمام بالحدث واضحاً بارزاً ، إذ تكمن العبرة فيه ، فلا أهمية للاسم في أغلب الأحيان أو مكان وزمان القصة الخاص ، فكل ذلك كان يؤطر بإطار عام . أما الحدث فإطاره خاص تفصيلي ؛ لأن المغزى يتمثل فيه من وراء هذا السرد النبوي .

الهوامش

---

(١) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب : ٤٣٣ .

٢ الوجوه البيانية في القصة النبوية وأسرارها الدقيقة : ١١٩ .

٣ ينظر : المصدر نفسه : ١١٩ .

٤ الرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعليم : ١٩٤ .

٥ سورة هود : ١٢٠ .

٦ أخرجه البخاري في " صحيحه " (٢٣٦٣) ، ونص الحديث هو قال رسول الله ﷺ : ((بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي ، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ العَطَشُ ، فَنَزَلَ بِئْرًا، فَشَرِبَ مِنْهَا ، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ ، فَقَالَ : لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي ، فَمَلَأَ خُفَّهُ ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيه ، ثُمَّ رَقِيَ ، فَسَقَى الكَلْبَ ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ ، فَغَفَرَ لَهُ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَإِنَّ لَنَا فِي البَهَائِمِ أَجْرًا ؟ قَالَ : فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ)) .

٧ البيان النبوي : ١٢٨ .

٨ النثر في عصر النبوة والخلافة الراشدة : ١٧٥- ١٧٧ .

٩ ينظر : التصوير الفني في الحديث النبوي : ٥٠٩ .

١٠ أخرجه البخاري في " صحيحه " (٣٤٨٥) .

١١ ينظر : علم الحديث والدراسات الأدبية : ٧٦ .

١٢ ينظر : الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف : ٧٤٠- ٧٤٢ .

١٣ المصدر نفسه : ٧٤٣- ٧٤٥ .

١٤ المصدر نفسه : ٧٢٩- ٧٣٣ .

١٥ الخطاب التربوي الموجه للمرأة المسلمة كما جاء في السنة النبوية – دراسة تحليلية : ٦١ .

١٦ ينظر : الخصائص البلاغية للقصة النبوية – دراسة تطبيقية على حديث الصخرة : ٥٧–٥٨

١٧ ينظر : القصة في الحديث النبوي : ٢٤– ٢٦ .

١٨ ينظر : القصة في الحديث النبوي وأثرها في التربية : ١٥ .

١٩ من أساليب التربية النبوية : ٢ .

٢٠ منهج الفن الإسلامي : ١٥٩ .

٢١ أخرجه مسلم في " صحيحه " (٢٢٤٥) ونص الحديث هو قال النبي ﷺ : ((أَنَّ امْرَأَةً بَغِيًّا رَأَتْ كَلْبًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ يُطِيفُ بِبِئْرٍ، قَدْ أَدْلَعَ لِسَانَهُ مِنَ الْعَطَشِ ، فَنَزَعَتْ لَهُ بِمُوقِهَا فَغُفِرَ لَهَا)) .

٢٢ التصوير الفني في الحديث النبوي : ٤٩٩ .

٢٣ أخرجه البخاري في " صحيحه " (٣٤٥١) .

٢٤ أخرجه البخاري في " صحيحه " (٢٢١٥) ، ونص القصة هو ، قال ﷺ : ((خَرَجَ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ يَمْشُونَ فَأَصَابَهُمُ المَطَرُ، فَدَخَلُوا فِي غَارٍ فِي جَبَلٍ ، فَانْحَطَّتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : ادْعُوا اللَّهَ بِأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ : اللَّهُمَّ إِنِّي كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَرْعَى ، ثُمَّ أَجِيءُ فَأَحْلُبُ فَأَجِيءُ بِالحِلاَبِ ، فَآتِي بِهِ أَبَوَيَّ فَيَشْرَبَانِ ، ثُمَّ أَسْقِي الصِّبْيَةَ وَأَهْلِي وَامْرَأَتِي ، فَاحْتَبَسْتُ لَيْلَةً ، فَجِئْتُ فَإِذَا هُمَا نَائِمَانِ ، قَالَ : فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا ، وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ رِجْلَيَّ ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمَا حَتَّى طَلَعَ الفَجْرُ ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ ، قَالَ : فَفُرِجَ عَنْهُمْ ، وَقَالَ الآخَرُ : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أُحِبُّ امْرَأَةً مِنْ بَنَاتِ عَمِّي كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرَّجُلُ النِّسَاءَ ، فَقَالَتْ : لاَ تَنَالُ ذَلِكَ مِنْهَا حَتَّى تُعْطِيَهَا مِائَةَ دِينَار ٍ، فَسَعَيْتُ فِيهَا حَتَّى جَمَعْتُهَا ، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ : اتَّقِ اللَّهَ وَلاَ تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ ، فَقُمْتُ وَتَرَكْتُهَا ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَة ً، قَال َ: فَفَرَجَ عَنْهُمُ الثُّلُثَيْنِ ، وَقَالَ الآخَرُ : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقٍ مِنْ ذُرَةٍ فَأَعْطَيْتُهُ وَأَبَى ذَاكَ أَنْ يَأْخُذَ ، فَعَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ ، حَتَّى اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرَاعِيهَا ، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ أَعْطِنِي حَقِّي ، فَقُلْتُ : انْطَلِقْ إِلَى تِلْكَ البَقَرِ وَرَاعِيهَا فَإِنَّهَا لَكَ ، فَقَالَ : أَتَسْتَهْزِئُ بِي ؟ قَالَ : فَقُلْتُ : مَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ وَلَكِنَّهَا لَكَ ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ ، فَافْرُجْ عَنَّا فَكُشِفَ عَنْهُمْ)) .

٢٥ القصص في الحديث النبوي الشريف : ٥٦ .

٢٦ المصدر نفسه : ٥٨ .
٢٧ النثر في عصر النبوة والخلافة الراشدة : ١٧٥ .
٢٨ أخرجه البخاري في " صحيحه " (٣٤٢٧) .
٢٩ سورة الأنبياء : ٧٩ .
٣٠ الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف : ٧٣٠ .
٣١ أخرجه أحمد في " مسنده " ١٦/ ٣٥٤ .
٣٢ وللنذير العريان قصة ذكرها الميداني ت (٥١٨) هـ في " مجمعه " ١/ ٤٨ .
٣٣ أخرجه البخاري في " صحيحه " (٦٤٨٢) .
٣٤ في ظلال الحديث النبوي : ٦٨- ٦٩ .
٣٥ القصة النبوية في الصحيحين – دراسة بلاغية تحليلية : ١ .
٣٦ ينظر : علم الحديث والدراسات الأدبية : ٩٨ .
٣٧ لسان العرب مادة (قصص) .
٣٨ الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف : ٧٣١ .
٣٩ الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية : ٤٤٢ .
٤٠ البلاغة النبوية بين النظرية والتطبيق : ٣٩- ٤٠ .
٤١ سورة النجم : ٣- ٤ .
٤٢ الوجوه البيانية في القصة النبوية وأسرارها الدقيقة :١٥ .
٤٣ المصدر نفسه : ١٧ .
٤٤ ينظر : السياق وتوجيه دلالة النص – مقدمة في نظرية البلاغة النبوية : ٢٤٨- ٢٤٩ .
٤٥ أخرجه مسلم في " صحيحه " (٢٧٤٧) .
٤٦ السياق وتوجيه دلالة النص – مقدمة في نظرية البلاغة النبوية : ٦٢٣ .
[٤٧] المصدر نفسه : ٦٢٣ .
٤٨ المصدر نفسه : ٦٢٤ .
٤٩ ينظر : المصدر نفسه : ٦٢٣- ٦٢٥ .
٥٠ كقوله ﷺ : ((كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ بِهِ جُرْحٌ ، فَجَزِعَ ، فَأَخَذَ سِكِّينًا فَحَزَّ بِهَا يَدَهُ ، فَمَا رَقَأَ الدَّمُ حَتَّى مَاتَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : بَادَرَنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ ، حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ)) . أخرجه البخاري في " صحيحه " (٣٤٦٣) .
٥١ ينظر : القصص في الحديث النبوي – دراسة فنية وموضوعية : ٦٣و٩٨و١٣٩و٢٩٧و٤٨٦ و ٤٩٩ و ٥١٣ .

٥٢ أخرجه مسلم في " صحيحه " (٣٠٠٥) ، ونص الحديث هو قال ﷺ : ((كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ ، فَلَمَّا كَبِرَ ، قَالَ لِلْمَلِكِ : إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ ، فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ ، فَأَعْجَبَهُ فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ ، فَقَالَ : إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ ، فَقُلْ : حَبَسَنِي أَهْلِي ، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ : حَبَسَنِي السَّاحِرُ ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ ، فَقَالَ : الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ ؟ فَأَخَذَ حَجَرًا ، فَقَال َ: اللهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّة َ، حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا ، وَمَضَى النَّاسُ ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ : أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي ، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى ، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى ، فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ ، وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ ، فَقَالَ : مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي ، فَقَالَ : إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي الله ُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللهِ دَعَوْتُ اللهَ فَشَفَاكَ ، فَآمَنَ بِاللهِ فَشَفَاهُ اللهُ ، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ ؟ قَالَ : رَبِّي ، قَالَ : وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي ؟ قَالَ : رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ ، فَقَالَ : إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا ، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ ، فَقِيلَ لَهُ : ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ ، فَأَبَى ، فَدَعَا بِالْمِئْشَارِ ، فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ : ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ ، فَأَبَى فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ ، فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِه ِ، فَقَالَ : اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا ، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ ، وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ ، فَقَالَ : اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ ، فَرَجَفَ بِهِمِ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا ، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ ؟ قَالَ : كَفَانِيهِمُ اللهُ ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ ، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ ، فَذَهَبُوا بِهِ ، فَقَالَ : اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ ، فَانْكَفَأَتْ بِهِمِ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا ، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ ؟ قَالَ : كَفَانِيهِمُ اللهُ ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ : إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ ، قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي ، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ، ثُمَّ

قُلْ : بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ ، ثُمَّ ارْمِنِي ، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي ، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبْدِ الْقَوْسِ ، ثُمَّ قَالَ : بِاسْمِ اللهِ ، رَبِّ الْغُلَامِ ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ ، فَقَالَ النَّاسُ : آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ ، فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ : أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ ؟ قَدْ وَاللهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ ، فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ ، فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ ، وَقَالَ : مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا ، أَوْ قِيلَ لَهُ : اقْتَحِمْ ، فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا ، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ : يَا أُمَّهْ اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ)) .

٥٣ القصص في الحديث النبوي – دراسة فنية وموضوعية : ١٥٥– ١٥٦ .

٥٤ في ظلال القرآن ٦/ ٣٨٧٤ .

٥٥ أخرجه أحمد في " مسنده " ٥/ ٣٠ ، ونص الحديث هو قال ﷺ : ((لَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي أُسْرِيَ بِي فِيهَا أَتَتْ عَلَيَّ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ ، فَقُلْتُ : يَا جِبْرِيلُ ، مَا هَذِهِ الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ ؟ فَقَالَ : هَذِهِ رَائِحَةُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ وَأَوْلادِهَا ، قَالَ : قُلْتُ : وَمَا شَأْنُهَا ؟ قَالَ : بَيْنَا هِيَ تُمَشِّطُ ابْنَةَ فِرْعَوْنَ ذَاتَ يَوْمٍ ، إِذْ سَقَطَتِ الْمِدْرَى مِنْ يَدَيْهَا ، فَقَالَتْ : بِسْمِ اللهِ ، فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ : أَبِي؟ قَالَتْ : لَا ، وَلَكِنْ رَبِّي وَرَبُّ أَبِيكِ اللهُ ، قَالَتْ : أُخْبِرُهُ بِذَلِكَ قَالَتْ : نَعَمْ ، فَأَخْبَرَتْهُ فَدَعَاهَا ، فَقَالَ : يَا فُلَانَةُ ، وَإِنَّ لَكِ رَبًّا غَيْرِي ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ ، فَأَمَرَ بِبَقَرَةٍ مِنْ نُحَاسٍ فَأُحْمِيَتْ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا أَنْ تُلْقَى هِيَ وَأَوْلادُهَا فِيهَا ، قَالَتْ لَهُ : إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً ، قَالَ: وَمَا حَاجَتُكِ ؟ قَالَتْ : أُحِبُّ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامِي وَعِظَامَ وَلَدِي فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ، وَتَدْفِنَنَا ، قَالَ : ذَلِكَ لَكِ عَلَيْنَا مِنَ الحَقِّ ، قَالَ : فَأَمَرَ بِأَوْلادِهَا فَأُلْقُوا بَيْنَ يَدَيْهَا ، وَاحِدًا وَاحِدًا ، إِلَى أَنِ انْتَهَى ذَلِكَ إِلَى صَبِيٍّ لَهَا مُرْضَعٍ ، كَأَنَّهَا تَقَاعَسَتْ مِنْ أَجْلِهِ ، قَالَ : يَا أُمَّهْ ، اقْتَحِمِي ، فَإِنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ ، فَاقْتَحَمَتْ)) . قَالَ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما : تَكَلَّمَ أَرْبَعَةٌ صِغَارٌ : عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ ، وَشَاهِدُ يُوسُفَ ، وَابْنُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ)) .

٥٦ ينظر : صورة المرأة في الحديث النبوي : ٩٠ . وكذلك فعلت الباحثة هناء عبد الرحمن ، إذ جمعت قصصاً نبويةً كان محورها المرأة . ينظر : الخطاب التربوي الموجه للمرأة المسلمة كما جاء في السنة النبوية – دراسة تحليلية : ٦٣ – ٨٠ .

٥٧ ينظر : صورة المرأة في الحديث النبوي : ٩١ .

٥٨ ينظر : المصدر نفسه : ٩٢ .

٥٩ أخرجه مسلم في " صحيحه " (٢٧٦٦) ونص الحديث هو قال النبي ﷺ : ((كانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا ، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ ، فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ ، فَأَتَاهُ ، فَقَالَ : إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ؟ فَقَال َ: لَا ، فَقَتَلَهُ ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً ، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ ، فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ ، فَقَالَ : إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا ، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ ؛ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ ، فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ : جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللهِ ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ : إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ ، فَقَالَ : قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ ، فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ)) .

٦٠ كما في شخصيات الأنبياء والمرسلين – عليهم الصلاة والسلام – الذين ورد ذكرهم في بعض القصص النبوي .

٦١ القصة في الحديث النبوي : ١٦ .

٦٢ الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف : ٧٧٤ .

٦٣ المصدر نفسه : ٧٧٥ .

٦٤ المصدر نفسه : ٧٧٥ .

٦٥ ينظر : صورة المرأة في الحديث النبوي : ٩٣– ٩٩ .

٦٦ المصدر نفسه : ١٠٠ .

٦٧ أخرجه أحمد في " مسنده " ١٤/ ٤٧ ، وأبو داود في " سننه " (٤٩٠١) .

٦٨ القصص في الحديث النبوي الشريف : ٦٠– ٦١ .

٦٩ القصة في الحديث النبوي : ١٦– ١٧ .

٧٠ ينظر : الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف : ٧٤٤ .

٧١ المصدر نفسه : ٧٥٨ .

٧٢ المصدر نفسه : ٧٥٨ .

٧٣ القصة في الحديث النبوي : ١٩ .

٧٤ الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف : ٧٥٩ .

٧٥ القصة في الحديث النبوي : ١٧ .

٧٦ القصص في الحديث النبوي – دراسة فنية وموضوعية : ٣٠٢ .

٧٧ أخرجه الترمذي في " سننه " (٢٤٩٦) ونص الحديث هو قال رسول الله ﷺ : ((كَانَ الكِفْلُ مِنْ بني إسرائيل لَا يَتَوَرَّعُ مِنْ ذَنْبٍ عَمِلَهُ ، فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَأَعْطَاهَا سِتِّينَ دِينَارًا عَلَى أَنْ يَطَأَهَا ، فَلَمَّا قَعَدَ مِنْهَا مَقْعَدَ الرَّجُلِ مِنْ امْرَأَتِهِ أَرْعَدَتْ وَبَكَتْ ، فَقَالَ : مَا يُبْكِيكِ أَأَكْرَهْتُكِ ؟ قَالَتْ : لَا وَلَكِنَّهُ عَمَلٌ مَا عَمِلْتُهُ قَطُّ ، وَمَا حَمَلَنِي عَلَيْهِ إِلَّا الحَاجَةُ ، فَقَالَ : تَفْعَلِينَ أَنْتِ هَذَا وَمَا فَعَلْتِهِ ؟ اذْهَبِي فَهِيَ لَكِ ، وَقَالَ : لَا وَاللَّهِ لَا أَعْصِي اللَّهَ بَعْدَهَا أَبَدًا ، فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ ، فَأَصْبَحَ مَكْتُوبًا عَلَى بَابِهِ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لِلْكِفْلِ)) .

٧٨ الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف : ٧٤٥– ٧٤٦ .

٧٩ ينظر : القصة النبوية في الصحيحين – دراسة بلاغية تحليلية : ٤٠٠– ٤٩٢ .

٨٠ ينظر : الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية : ٤٥٩ ، وما بعدها .

٨١ القصة في الحديث النبوي : ٢٠ .

٨٢ ينظر : القصص في الحديث النبوي الشريف : ٥٥ .

٨٣ أخرجه أحمد في " مسنده " ١٣/ ٤٣٤ ، ونص القصة هو : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ((لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ : عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ، قَالَ : وَكَانَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ عَابِدٌ يُقَالُ لَهُ : جُرَيْجٌ ، فَابْتَنَى صَوْمَعَةً وَتَعَبَّدَ فِيهَا ، قَالَ : فَذَكَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَوْمًا عِبَادَةَ جُرَيْجٍ ، فَقَالَتْ بَغِيٌّ مِنْهُمْ : لَئِنْ شِئْتُمْ لَأُفْتِنَنَّهُ فَقَالُوا : قَدْ شِئْنَا ، قَالَ : فَأَتَتْهُ فَتَعَرَّضَتْ لَهُ ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا ، فَأَمْكَنَتْ نَفْسَهَا مِنْ رَاعٍ كَانَ يَأْوِي غَنَمَهُ إِلَى أَصْلِ صَوْمَعَةِ جُرَيْجٍ ، فَحَمَلَتْ ، فَوَلَدَتْ غُلَامًا ، فَقَالُوا : مِمَّنْ ؟ قَالَتْ : مِنْ جُرَيْجٍ ، فَأَتَوْهُ فَاسْتَنْزَلُوهُ ، فَشَتَمُوهُ وَضَرَبُوهُ وَهَدَمُوا صَوْمَعَتَهُ ، فَقَالَ : مَا شَأْنُكُمْ ؟ قَالُوا : إِنَّكَ زَنَيْتَ بِهَذِهِ الْبَغِيِّ ، فَوَلَدَتْ غُلَامًا ، قَالَ : وَأَيْنَ هُوَ ؟ قَالُوا : هَا هُوَ ذَا ، قَالَ : فَقَامَ فَصَلَّى وَدَعَا ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْغُلَامِ فَطَعَنَهُ بِإِصْبَعِهِ ، وَقَالَ : بِاللهِ يَا غُلَامُ ، مَنْ أَبُوكَ ؟ قَالَ : أَنَا ابْنُ الرَّاعِي ، فَوَثَبُوا إِلَى جُرَيْجٍ فَجَعَلُوا يُقَبِّلُونَهُ ، وَقَالُوا : نَبْنِي صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ ، قَالَ : لَا حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ ، ابْنُوهَا مِنْ طِينٍ كَمَا كَانَتْ ، قَالَ : وَبَيْنَمَا امْرَأَةٌ فِي حِجْرِهَا ابْنٌ لَهَا تُرْضِعُهُ ، إِذْ مَرَّ بِهَا رَاكِبٌ ذُو شَارَةٍ ، فَقَالَتْ : اللهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَ هَذَا ، قَالَ : فَتَرَكَ ثَدْيَهَا ، وَأَقْبَلَ عَلَى الرَّاكِبِ ، فَقَالَ : اللهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَه ، قَالَ : ثُمَّ عَادَ إِلَى ثَدْيِهَا يَمُصُّهُ ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يَحْكِي صَنِيعَ الصَّبِيِّ وَوَضْعَهُ إِصْبَعَهُ فِي فَمِهِ ، فَجَعَلَ يَمُصُّهَا ، ثُمَّ مُرَّ بِأَمَةٍ تُضْرَبُ ، فَقَالَتْ : اللهُمَّ لَا تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهَا ، قَالَ : فَتَرَكَ ثَدْيَهَا ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْأَمَةِ ، فَقَالَ : اللهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا ، قَالَ : فَذَلِكَ حِينَ تَرَاجَعَا الْحَدِيثَ ، فَقَالَتْ : حَلْقَى مَرَّ الرَّاكِبُ ذُو الشَّارَةِ فَقُلْتُ : اللهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهُ ، فَقُلْتَ : اللهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ ، وَمُرَّ بِهَذِهِ الْأَمَةِ فَقُلْتُ : اللهُمَّ لَا تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهَا ، فَقُلْتَ : اللهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا فَقَالَ : يَا أُمَّتَاهْ إِنَّ الرَّاكِبَ ذُو الشَّارَةِ جَبَّارٌ مِنَ

الْجَبَابِرَةِ ، وَإِنَّ هَذِهِ الْأَمَةَ يَقُولُونَ : زَنَتْ ، وَلَمْ تَزْنِ ، وَسَرَقَتْ ، وَلَمْ تَسْرِقْ ، وَهِيَ تَقُولُ : حَسْبِيَ اللهُ)) .

٨٤ أخرجه البخاري في " صحيحه " (٣٤٧١) ، وقوله ﷺ : (وما هما ثم) ، أي : وما هما حاضران .

٨٥ أخرجه البخاري في " صحيحه " (٣٤٦٧) .

٨٦ ينظر : الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف : ٧٦٦ .

٨٧ المصدر نفسه : ٧٧٠ .

٨٨ أخرجه البخاري في " صحيحه " (٢٢٩١) ، ونص الحديث هو عن النبي ﷺ : ((أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَقَالَ : ائْتِنِي بِالشُّهَدَاءِ أُشْهِدُهُمْ ، فَقَالَ : كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا، قَالَ : فَأْتِنِي بِالكَفِيلِ ، قَالَ : كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا ، قَالَ: صَدَقْتَ ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ، فَخَرَجَ فِي البَحْرِ فَقَضَى حَاجَتَهُ ، ثُمَّ التَمَسَ مَرْكَبًا يَرْكَبُهَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ لِلْأَجَلِ الَّذِي أَجَّلَهُ ، فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا ، فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا ، فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهِ ، ثُمَّ زَجَّجَ مَوْضِعَهَا ، ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَى البَحْرِ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ تَسَلَّفْتُ فُلاَنًا أَلْفَ دِينَارٍ ، فَسَأَلَنِي كَفِيلاً ، فَقُلْتُ : كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا ، فَرَضِيَ بِكَ ، وَسَأَلَنِي شَهِيدًا، فَقُلْتُ : كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا، فَرَضِيَ بِكَ ، وَأَنِّي جَهَدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ الَّذِي لَهُ فَلَمْ أَقْدِرْ ، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا ، فَرَمَى بِهَا فِي البَحْرِ حَتَّى وَلَجَتْ فِيهِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ ، يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ جَاءَ بِمَالِهِ ، فَإِذَا بِالخَشَبَةِ الَّتِي فِيهَا المَالُ ، فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَطَبًا ، فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ المَالَ وَالصَّحِيفَةَ ، ثُمَّ قَدِمَ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ ، فَأَتَى بِالأَلْفِ دِينَارٍ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لِآتِيَكَ بِمَالِكَ ، فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ ، قَالَ : هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ ؟ قَالَ : أُخْبِرُكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي جِئْتُ فِيهِ ، قَالَ : فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ فِي الخَشَبَةِ ، فَانْصَرِفْ بِالأَلْفِ الدِّينَارِ رَاشِدًا)) .

٨٩ الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف : ٧٤٥ .

٩٠ المصدر نفسه : ٧٤٦.

٩١ البيان النبوي : ١٤١– ١٤٢ .

المصادر والمراجع

أولاً : الكتب :

بعد كتاب الله ﷻ .

١- الأدب وفنونه – د. عز الدين إسماعيل – دار الفكر العربي – ط ٦ .
٢- أضواء على البلاغة النبوية – د. إبراهيم الجعلي – مكتبة الرشد – الرياض – ط١ – ٢٠٠٤ .
٣- أفراح الروح – سيد قطب – دار الشروق – بيروت – ط٩ – ١٩٨٣ .
٤- البلاغة النبوية بين النظرية والتطبيق – د. غالب محمد الشاويش مكتبة الرشد – الرياض – ط١ – ٢٠٠٩
٥- البيان النبوي – د. محمد رجب البيومي – دار البيان – القاهرة – ١٩٨٨ .
٦- التصوير الفني في الحديث النبوي – د. محمد لطفي الصباغ – المكتب الإسلامي – بيروت – ط١ – ١٩٨٨ .
٧- الحديث النبوي من الوجهة البلاغية – د. عز الدين علي السيد – دار الطباعة المحمدية – القاهرة – ١٩٧١
٨- الرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعليم – عبد الفتاح أبو غدة – دار البشائر الإسلامية – بيروت – ط٤ – ٢٠٠٨ .
٩- سنن الترمذي – محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي ، أبو عيسى ت (٢٧٩) هـ – تحقيق : بشار عواد معروف – دار الغرب الإسلامي – بيروت – ١٩٩٨ .
١٠- سنن أبي داود – أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني ت (٢٧٥) هـ – تحقيق : أحمد سعد علي – مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر – ط١ – ١٩٥٢ .
١١- السياق وتوجيه دلالة النص (مقدمة في نظرية البلاغة النبوية) – د. عيد بلبع – بلنسية للنشر والتوزيع – مصر – ط١ – ٢٠٠٨ .
١٢- صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه) – محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي – تحقيق : محمد زهير بن ناصر – دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) – ط١ – ١٤٢٢هـ .
١٣- صحيح مسلم – أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري ت (٢٦١) هـ – المطبعة المصرية – ط١ – ١٩٢٩ .
١٤- الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف – د. أحمد ياسوف – دار المكتبي – دمشق – ط١ – ٢٠٠١ .
١٥- صورة المرأة في الحديث النبوي – رزان عبده الحكيم – دار الفكر – دمشق – ط١ – ٢٠٠٨م .
١٦- علم الحديث والدراسات الأدبية – د. نور الدين عتر – جامعة حلب – ط١ – ١٩٨٦ .

١٧- في ظلال الحديث النبوي (دراسة فكرية اجتماعية وأدبية جمالية معاصرة) - د. نور الدين عتر - مطبعة دمشق - دمشق - ط٢ - ٢٠٠٠ .
١٨- في ظلال القرآن - سيد قطب - دار الشروق - بيروت - ط٩ - ١٩٨٠ .
١٩- القصة في الحديث النبوي - محمد زكريا الزعيم - دار الفيحاء - دمشق - ط١ - ٢٠٠٨ .
٢٠ - القصص في الحديث النبوي الشريف - دراسة فنية وموضوعية - د. محمد بن حسن الزير - المطبعة السلفية - القاهرة - ط١ - ١٩٧٨ .
٢١- لسان العرب - محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ت (٧١١) هـ - دار صادر - بيروت - ط١ - ١٩٩٧ .
٢٢- مسند أحمد بن حنبل - تحقيق : أحمد محمد شاكر - دار المعارف - مصر - ١٩٥٦ .
٢٣- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب - مجدي وهبة وكامل المهندس- مكتبة لبنان - بيروت - ١٩٧٩.
٢٤- منهج الفن الإسلامي - محمد قطب - دار الشروق - بيروت - ط٤ - ١٤٠٠هـ .
٢٥- النثر في عصر النبوة والخلافة الراشدة - د. غازي طليمات وعرفان الأشقر - دار الفكر - دمشق - ط١ - ٢٠٠٧ .
٢٦- وحي القلم - مصطفى صادق الرافعي - تحقيق : محمد سعيد العريان - مطبعة الاستقامة - مصر - ط١ - ١٩٤١ .

ثانياً : الرسائل والأطاريح الجامعية :

١- الخطاب التربوي الموجه للمرأة المسلمة كما جاء في السنة النبوية - دراسة تحليلية - رسالة ماجستير - إعداد : هناء عبد الرحمن محمد - كلية التربية - الجامعة الإسلامية بغزة - ٢٠٠٩ .
٢- رعاية حال المخاطب في أحاديث الصحيحين - دراسة بلاغية تحليلية - أطروحة دكتوراه - إعداد : يوسف عبد الله محمد - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - كلية اللغة العربية - ١٤٢٩ هـ .
٣- العمل التطوعي في السنة النبوية - دراسة موضوعية - رسالة ماجستير - إعداد : رندة محمد زينو - الجامعة الإسلامية بغزة - ٢٠٠٧ .
٤- القصة النبوية في الصحيحين - دراسة بلاغية تحليلية - رسالة ماجستير - إعداد : محمد سعد - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - كلية اللغة العربية - ١٤٣٠ هـ .

٥- الوجوه البيانية في القصة النبوية وأسرارها الدقيقة – رسالة ماجستير – إعداد : فوزية عبد الله سند – جامعة أم القرى – كلية اللغة العربية – ١٤٢٠ هـ .

ثالثاً : البحوث والمجلات والدوريات :

١– حول الأدب النبوي – أحمد العيناني – بحث مقدم للمؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية – الدوحة – منشورات المكتبة العصرية – بيروت –١٤٠٠ هـ

٢- الخصائص البلاغية للقصة النبوية – دراسة تطبيقية على حديث الصخرة – د. محمود شعبان إبراهيم – مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية – دسوق – ٢٠٠٦ .

٣- القصص في الحديث النبوي الشريف – د. مصطفى عبد اللطيف – مجلة كلية التربية – جامعة البصرة – العدد (١) – ١٩٧٩ .